ثورة السلطنات ضد حُكْم الأئمة في جنــوب وشــرق اليمن 1644-1733م



عبدالرحمن صالح حيدرة

الطبعة الأولى يناير 2008

مقدمة الطبعة الثانية

ظهرت الطبعة الأولى في عام 2008 م أي قبل عشر سنوات من الآن،وقد وقعت فيها بعض الأخطاء الإملائية،وبالنسبة للمضمون فقد تلقيت عدة رسائل من الإخوة المهتمين بالتاريخ عن محتوى الكتاب، وقمنا بتصحيح الأخطاء الإملائية ،ومراجعة وتعديل بعض المصطلحات والأسماء حتى يكون محتوى الكتاب موضوعيا وواقعيا وينسجم مع تاريخ اليمن العام والغرض من تأليفه.وأنا هاو للتاريخ ولست لا مؤرخا ولا باحثا متخصصا،ولا ضليعا باللغة العربية .

لذا قد تكون هنالك أخطاء وتقصير في متن الكتاب أو في طريقة تناوله للموضوع قيد الدراسة.أو أخطاء نحوية أو إملائية أو ما شابه ذلك.

فالعفو من الجميع لأي من ذلك.والكمال لله ،وأي نقد بناء مرحب به .

وتنقيح وتصحيح أي كتاب شيئا عاديا وطبيعيا حيث تظهر معلومات جديدة،أو أن المؤلف رأى أمورا أخرى ونظر للموضوع من زاوية مختلفة .

ونتمنى لبلدنا أن تصلح أحواله ويعيش في آمن وسلام وموحدا بحيث يكون كل أبنائه يعملون من أجل مصلحتهم ومصلحته ، وبحيث لا يكون هنالك أي سيطرة لأي فئة على الآخرين بدون وجه حق.

واحدة من مشاكل اليمن الأساسية والتي عانى منها بالماضي والحاضر هو الصراع السياسي المستمر على السلطة والنفوذ، بين هذا الحاكم وذاك، وبين هذه الطائفة أو المنطقة أو القبيلة وتلك.
وعلى أي حال اليمن ليست الوحيدة التي فيها تلك الصراعات،بل حدث مثل ذلك في اكثر بلدان العالم بالماضي والحاضر، ولكن الآن العالم توصل لحلول للصراعات السياسية عن طريق النظم الديمقراطية والاتحادية والحكم الرشيد..

والديمقراطية من أعظم ما أنجزه الإنسان في مجال الحكم وحل الصراع السياسي ،وفي سبيل بناء النظم والدول العادلة التي تنفع الناس وتجعلهم يعيشون حياتهم بشكل طبيعي وعادي.
سبتمبر 2018 م

مقدمة

فكرة هذا الكتاب أتت بشكل غير مباشر بعد حرب 94 بين شمال وجنوب اليمن، وبشكل مباشر منذ حوالي 5 أعوام، وذلك حينما كنت ابحث في تاريخ اليمن عن أسباب الصراعات التي جرت فيه وكيف سارت الإحداث ولماذا وقعت.

وقد وجدت أن المكتبة اليمنية والعربية تخلو تقريبا من كتاب يؤرخ لفترة فاصلة من تاريخ جنوب شبه الجزيرة، وهي فترة تكوين ونشؤ السلطنات والإمارات والمشيخات، أو ما كان يسمى حينها بلاد المشرق، أي مشرق اليمن، باستثناء بعض الكتابات المتناثرة في بطون الكثير من الكتب هنا وهناك، وفي مؤلفات بعض المؤرخين الذين تناولوا تأريخ بعض المناطق وجاء ذكر هذه الأحداث في سياق علاقتها بها، وهي الفترة التي تلت حكم العثمانيين الأول لليمن أي منذ 1045 إلى 1145هجرية، الموافق 1645-1728م.وقد ضل جنوب اليمن ومشرقه مستقلا منذ تلك الفترة حتى أتى الاحتلال البريطاني في عام 1254هجرية، الموافق 1839م.

هدف الكتاب

لقد رأيت أن من الواجب تأليف كتاب، يؤرخ لفترة نشؤ تلك الإمارات واستقلالها عن اليمن، والأسباب التي أدت إلى ذلك، وحسب ما هو متوفر لدينا من معلومات ومراجع.

وهذه الفترة التي نؤرخ لها تعتبر من الفترات الهامة في تاريخ جنوب شبه الجزيرة العربية، حيث حاول الأئمة توحيد اليمن تحت رايتهم، وقد نجحوا عسكريا في غزوهم ولحوالي عقدين من الزمن، وفشلوا سياسيا، والمشاكل التي لاقوها، واجهت غيرهم من ملوك اليمن من قبل..!! حيث كان ملوك أهل السنة وغيرهم والذين حكموا المناطق الجنوبية، يحاولون السيطرة على المناطق الشمالية الهادوية الزيدية، بطريقة عسكرية وسياسية، وكانوا يواجهون بمقاومة من قبل الأئمة وأتباعهم، على أساس أنهم مختلفون دينيا ومناطقيا عنهم، ونرى هنا أنه عندما كان يقوى الجنوب الشافعي يعارضه الشمال الزيدي الهادوي، وعندما يقوى الشمال الزيدي الهادوي يعارضه الجنوب الشافعي.! وهذا ما حدث في الفترة التي نؤرخ لها.وقد شرب الأئمة من الكأس التي كانوا يجرعونها لملوك اليمن الأسفل من آل الصليحي إلى بنو طاهر.ولا تختلف هذه الفترة التي نؤرخ لها عن غيرها من الفترات السابقة كثيرا، حيث كان يقوم الملوك عندما يشعرون أن لديهم القدرة، بمحاولة السيطرة على اكبر مساحة ممكنة من المناطق، ليأمنوا شر أهلها وليضيفوا رعايا ومناطق جديدة لزيادة الخراج.ومن ثم تتم مقاومتهم حتى يضعفوا وتستقل تلك المناطق وتدار من قبل الحكام المحليين، سواء كانوا شيوخ قبائل أو سادة هاشميين. ونجد أن

الأئمة هنا بعد ان خلفوا العثمانيين في حكم اليمن، يستخدمون الدين سلاح لتكفير المخالفين لهم وأهل المناطق التي لا تخضع لهم وبطريقة غير مسبوقة، وأضافوا شيئا آخر وهو أخذ جزية منهم، أكثر بكثير من الجزية التي كانت مفروضة على أهل الكتاب، (اليهود والنصارى) بغرض إذلالهم وردهم عن مذهبهم، ولزيادة الخراج، والتفنن في أساليب حكمهم والسيطرة عليهم.

مراجع الكتاب

وقد وجدنا صعوبات كثيرة في العثور على مراجع كافية تختص بتلك الفترة، وقد حصلنا على أهم المراجع، واعتمدنا عليها في تأليف هذا الكتاب، وهنالك مراجع لا زالت مخطوطة، ولم نتمكن من الحصول عليها، ومراجع أخرى موجودة في مكتبات خارج اليمن، بعضها بالعربية وبعضها بلغات أخرى مثل البرتغالية، والفرنسية، والإنجليزية، والتركية، وغيرها، لم نتمكن من الحصول عليها، والمراجع التي استخدمناها في هذا الكتاب لم تكن متوفرة منذ وقت طويل، والسبب أنها كانت مخطوطات ولم يتم تحقيقها إلا قريبا.وبرغم قلة المصادر إلا أن ذلك لم يثبط عزيمتنا على إكمال الكتاب، إذ لو ضلينا منتظرين حتى نحصل على كل تلك المراجع لما ظهر هذا الكتاب أصلا.!وقد اعتمدنا بشكل أساسي على ما كتب في الفترة التي نؤرخ لها، مثل كتاب روح الروح، لعيسى بن لطف الله المطهر، والذي يؤرخ لنهاية الدولة الطاهرية وصعود الدولة الهادوية لآل شرف الدين، وكتاب تحفة الإسماع والأبصار للجرموزي والذي يؤرخ لحكم الأمام إسماعيل بن القاسم، وهذا من مؤرخي الدولة القاسمية الرسميين، إذ له ثلاثة كتب واحد عن الإمام المنصور القاسم بن محمد(توفى سنة 1029 هجرية) وواحد عن الأمام المؤيد محمد بن القاسم (توفى سنة 1054 هجرية) والكتاب الذي بين أيدينا.وهذا المؤرخ كان من المعاصرين للإمام إسماعيل بن القاسم، وقد توفى عام 1077 هجرية، وهنالك مصدر آخر مهم هو كتاب ابن الوزير طبق الحلوى وصحائف المن والسلوى، والذي حققه محمد عبدالرحيم جازم، وفيه تأريخ لدولة الأئمة ويبتدى بالسنة 1046حتى1090 هجرية، وهو من المصادر الأساسية، وما يعيب هذا الكتاب هو اختصاره لبعض الحوادث، بعكس كتاب أبو طالب. وهنالك كتاب آخر هو كتاب محسن أبو طالب طيب أهل الكساء وقد سماه المحقق عبدالله بن محمد الحبشي، اليمن تاريخ الاستقلال عن الحكم العثماني الأول، والذي يؤرخ لدولة الأئمة منذ 1056-1161 هجرية.وهنالك مراجع أخرى ثانوية وقد اشرنا إليها في أماكنها. وتوجد مخطوطات تؤرخ لبعض الأئمة ولكن بعضها غير محقق والبعض الآخر لا توجد إلا نسخة واحدة منها ويصعب تحقيق تلك المخطوطات بنسخة واحدة.

الخرائط والصور

لقد استخدمنا خريطتين في هذا الكتاب، وهذه الخرائط والصور توضح المكان الذي نتحدث عنه، وتوضح أين جرت بعض الأحداث والمعارك.

فصول الكتاب:الفصل الأول

لقد قسمنا الكتاب إلى 5 فصول، الفصل الأول تناول جغرافية الإمارات الجنوبية والشرقية باليمن، مع ذكر لبعض الموارد والمصادر الطبيعية، التي يعيش عليها السكان، حتى يعرف القارئ الكريم، نشاط السكان واقتصادهم ومصدر عيشهم، لأن الإنسان وليد بيئته الطبيعية والاقتصادية...الخ.وأعطينا في هذا الفصل لمحة عن تاريخ اليمن السابق على الفترة التي أرخنا لها، حتى يسهل على القارئ الإلمام بالفترة التي نحن بصددها، وليعرف الإطار العام لتاريخ اليمن.وقد ذكرنا في هذا الفصل أيضا ما تيسر عن الفرق والمذاهب الدينية ، وعن بني القاسم وكيف أتوا إلى السلطة.

الفصل الثاني: قيام دولة آل كثير في حضرموت

في هذا الفصل تناولنا بعض من تاريخ اليمن والإمارات الجنوبية والشرقية، في الفترة منذ عام 870_1045 هجرية، وهذه الفترة وثيقة الصلة بالفترة التي أرخنا لها، حيث تناولنا فيه بعضا من تاريخ الدولة الطاهرية، والكثيرية في حضرموت، والغزو المملوكي لليمن، وسقوط الدولة الطاهرية السنية، ثم الغزو العثماني ومقاومة أئمة الزيدية الهادوية لهم حتى الاستقلال عن الحكم العثماني عام 1045 هجرية. وصعود الأئمة إلى السلطة في المناطق التي كان يحكمها العثمانيون.

الفصل الثالث: غزو الأئمة لجنوب وشرق اليمن

تناولنا فيه صعود دولة الأئمة الزيدية وكيف أرادت التوسع جنوبا وشرقا حيث قامت بغزو جنوب وشرق اليمن السني، واستخدمت الدين سلاح ضد سكانه، بقصد إرهاب الناس نفسيا، ومن ثم السيطرة عليهم وحكمهم.وقد تناولنا فيه قصة الغزو منذ البداية حتى عام 1070 هجرية، حين تمت السيطرة على حضرموت من قبل جيوش الأئمة.

الفصل الرابع: حكم الأئمة للجنوب 1070-1092هجرية

هذه هي الفترة التي سيطر فيها الأئمة على جنوب وشرق اليمن، بعد سقوط حضرموت عسكريا عام 1070هجرية، وقد حاول الإمام إسماعيل بن القاسم والذي كان إماما حينها، أن يترك للسلاطين بعض السلطة والنفوذ، بما لا يؤدي إلى أن ينفردوا بالسلطة أو يهددوا سلطته، ولكن

الأمور لم تسير على ما يرام، إذ ضل الجنوبيين يقاومون جيوش الأئمة، ولم يحصل أي انسجام بينهم وبين الأهالي بل كان الخلاف يتسع كل يوم.

الفصل الخامس: انتفاضة أبناء الجنوب واستقلال معظم المناطق

في هـذا الفصل تناولنا انتفاضة أبنـاء الجنـوب وكيف أدى ذلك إلى اسـتقلاله، وقد مر الوضع بمرحلتين المرحلة الأولى مرحلة توازن القوى والتي عمرها حوالي عشر سنوات من 1092-1101 هجرية، والمرحلة الأخيرة تبدأ من 1101-1145هجرية، حيث تغير الوضع فيها لصالح الجنوبيين وانتقلوا من مرحلة توازن القوى إلى الهجوم على دولة الأئمة في عُقر دارها، وقد بقي بعض النفوذ والعسكر للأئمة في عدن ولحج حتى عام 1145هجرية، حيث دارت آخر المعارك هناك وتم طرد جيش الإمام وبذلك استقل الجنوب عن دولة الأئمة وحكمت تلك المناطق من قبل سلاطينها وسادتها وشيوخها.

دعوة للباحثين والمهتمين للكتابة حول الموضوع

هذه مساهمة متواضعة جدا مني للتأريخ لتلك الفترة، وقد بذلنا جهدنا لغربلة المعلومات المتوفرة وفحصها وتنسيقها وتحليلها بردها إلى أصولها والى طبائع الأشياء، ولكننا بشر ومن طبيعة البشر القصور والنقص، فضلا أن الكتابة التاريخية تنقصها عادة كل المراجع ووجهات النضر وإن وجدت حتى المراجع فهي لا تخلوا من نقص وتحيز هنا وهناك..!! ولم نقل أو نحلل كل شيء..! بل قلنا وكتبنا وحللنا ما استطعنا عمله والكمال لله، وإنشاء الله إذا وجدنا مراجع إضافية في المستقبل فسنقوم بطبع هذا الكتاب ثانية وثالثه ورابعة..الخ وتنقيحه اعتمادا على ما استجد من معلومات.ولكننا ندعو الإخوة الباحثين والمهتمين للكتابة حول هذا الموضوع، سواء كان على شكل دراسة شاملة أو جزئية لبعض الأحداث أو الشخصيات أو الأماكن التي لها علاقة بالموضوع، لعلاقته الوثيقة بتاريخ جنوب شبه الجزيرة العربية، وبما يجري الآن على الساحة اليمنية من حراك وانتفاضة من قبل أبناء اليمن الجنوبي ضد الوحدة التي قامت سلمية عام 1990م، ثم تحولت إلى وحدة قائمة على القوة عام 1994م.وتلك الأحداث التي أرخنا لها علاقة مباشرة وغير مباشرة بما يجري الآن من انقسامات وشقاقات قد تؤدي إلى العودة باليمن إلى ما كانت عليه قبل 1990م و1967م.

ولتصويب أو تصحيح أية معلومة أو لتزويد المؤلف بمراجع أو معلومات عن تلك الفترة أو أية فترة أخرى من تاريخ اليمن، وللمراسلة معه يرجى إرسالها إلى البريد الإلكتروني التالي.

sabber81@yahoo.com

الفصل الأول:جغرافية واقتصاد جنوب اليمن وشرقه

يقع جنوب وشرق اليمن بين خط طول 13-19شمالا (=شمال خط الاستواء)، وعرض بين 54-45 شرقا (=شرق خطر جرينتش). وتبلغ مساحتة حوالي 600 ألف كم مربع.ويحده من الشرق بلاد عمان، ومن الغرب اليمن، ومن الشمال الربع الخالي، ومن الجنوب البحر العربي.وتنقسم أرض جنوب وشرق اليمن من حيث التضاريس إلى 3 مناطق رئيسية، هي المناطق الجبلية، والمناطق الشرقية والشمالية الصحراوية، والمناطق السهلية الساحلية.والمناطق الجبلية تقع في شرق وغرب جنوب اليمن وشرقه في منطقة ظفار عمان حاليا وأجزاء من شرق المهرة في منطقة حوف، حيث يزرع في تلك المنطقة الحبوب والخضار والفواكه وغيرها، وتقدر الأمطار التي تهطل في في منطقة ظفار وحوف ربما في حدود1000مم سنويا، أما المنطقة الغربية، البيضاء، ويافع، وجُبن، وُمَريس وَدمت، والسبرة، والشعيب والضالع فالأمطار فيها ما بين 400-600مم سنويا.ويزرع فيها البن والخضار والفواكه والحبوب، و يغلب على طقسها الاعتدال.وترتفع هذه المناطق عن سطح البحر من 1000متر إلى 3000 متر.(1)

أما المناطق الصحراوية فهي تقع بالمناطق الشرقية والشمالية وتتكون من أجزاء من منطقة المهرة، وحضرموت، وشبوة، ومأرب بالشمال، وهذه المناطق جافة في الغالب ولا تسقط عليها أمطار غزيرة، وتعتمد على ما ينزل من الجبال إلى السهول من مياه، باتجاه الصحراء أو البحر العربي. وفي هذه المناطق توجد زراعة الحبوب والخضار والفواكه، خاصة في حضرموت حول سيئون وتعتمد فيها على مياه الغيول والآبار، وتأتي هذه المياه من الأماكن الجبلية العالية.ويبلغ ارتفاعها من 500 إلى 1500 م عن سطح البحر.

أما المناطق الساحلية فهي تمتد من ظفار شرقا إلى باب المندب غربا، والى هذه المناطق تأتي عدة أودية مثل وادي الجزع، وادي المسيلة، وادي حجر، وادي احور، وادي بناء، وادي تبن، ووادي ابرين.وتجود في هذه المناطق زراعة القطن، والحبوب، والخضار، والفاكهة.وهي غنية بالمياه الجوفية والسطحية بسبب انخفاضها وتغذيتها بالماء النازل من المناطق الجبلية.ويبلغ ارتفاعها من 100-500 عن سطح البحر.(2)

---

(1) سيد مصطفى سالم: الفتح العثماني الأول لليمن، ص 26-27

(2) مصلحة المساحة والسجل العقاري:أطلس اليمن والعالم ص 25

وتسقط الأمطار في جنوب اليمن وشرقه في فصول العام كله. الربيع في شهر فبراير ومارس وهذا يسمى مناخ البحر الأبيض المتوسط، والأمطار فيه ليست غزيرة وتقع على المناطق الشرقية و الغربية الجبلية.والموسم الثاني الذي يقع فيه أمطارا غزيرة هو موسم الصيف والخريف والذي يبدأ من شهر أبريل إلى شهر سبتمبر، والأمطار الكثيرة تهطل في موسم الخريف، والذي يبدأ في منتصف شهر يوليو، حتى سبتمبر.وهذه الأمطار تقع بسبب الرياح الموسمية التي تهب من ناحية الغرب من البحر الأحمر والبحر العربي، وتكون محملة بالأمطار.

أما الفصل الأخير وهو الشتاء فتقع فيه أمطار على المناطق الساحلية وغالبا ما تكون قليلة جدا.أما المناطق الداخلية الجبلية والشرقية فلا يهطل فيها مطر بالشتاء إلا نادرا. (1)

وقد أطلق اليونانيين القدماء على بلاد العربية الجنوبية، العربية السعيدة، لوفرة مائها وأشجارها بالمقارنة مع باقي مناطق شبه الجزيرة العربية، والتي هي غالبا صحراوية.ولا توجد في جنوب اليمن وشرقه انهار بالمعنى المعروف للكلمة بل توجد جداول مائية تسمى غيول وبعضها يضل يسيل طوال العام، مثل وادي بناء، وتبن،وغيرها.وبسبب تلك التضاريس وعدم وجود وديان كبيرة لوجود الجبال ووجود مساحات صحراوية جافة في المهرة وحضرموت ومأرب وشبوة، فان التجمع البشري الاستيطاني لم يوجد إلا في المناطق التي يوجد فيها ماء ووديان صالحة للزراعة.وهذا يدلنا على أن السكان يزدحمون في شرق جنوب اليمن في منطقة ظفار وفي غربه،وحول سيئون في حضرموت ويقلون في الشرق بالمهرة والشمال في مأرب.(2)

اقتصاد السكان

يعتمد السكان في جنوب اليمن وشرقه على الزراعة أساسا والرعي وصيد الأسماك، وبعض الصناعات التي كانت موادها متوفرة محليا، والطلب عليها موجود.والزراعة والتي هي أساس اقتصاد السكان، لم يكن إنتاجها مضطردا في كل السنين، بل انه كان مضطربا وحتى وقتنا الحالي.مثلا قد تهطل أمطار وفيرة في سنة ما وتأتي سنتين أو أكثر بدون أمطار.!

قسوة الطبيعة

وهي المتمثلة في قلة الأمطار أساسا،وعدم انتظام هطولها،والحرارة الزائدة ووجود الأراضي الواسعة شبه الصحراوية القاحلة، وأيضا وجود مناطق جبلية شاهقة خاصة في الغرب.مثل ردفان جنوبا الضالع وحالمين والشعيب ويافع غيرها.

---

(1) أطلس اليمن:مرجع سابق ص 26

(2) سيد مصطفى سالم:مرجع سابق ص 26 _27

.وحتى المنـاطق الـتي تهطل فيها أمطـارا أغزر مثل يـافع إلا أن الأراضي الصـالحة للزراعة هنـاك قليلة والسـبب أن يـافع موجـودة على هضـبة صـخرية كبـيرة، والوديـان توجد في الشـعاب أو السـائلات (السِـيَلْ كما يسـميها النـاس)وهي المكـان المنخفض الـتي تسـيل إليه الأمطـار، من قمم الجبال.

المهم أن السكان كانوا ولا يزالون متـأقلمين مع هذا المنـاخ، والـذي خيراته ليست موفـورة بالقدر الـذي تجعل هنالك فـائض إنتـاج فعلا، بل أن الإنتـاج بالكـاد يكفي السكان، ومع ذلك لم نقـراء أنها كـانت تحصل مجاعـات في جنـوب وشـرق اليمن بكـثرة مثلما كـان يحصل في شـمال اليمن.إذ تـذكر كتب التاريخ أنها وقعت مجاعـات في بعض السنين في اليمن.وربما يعود هذا إلى ازدحـام السكان وكثرتهم بالمقارنة مع سكان الجنوب والشرق.

هذا المُنَاخ أثمر الإنسان في الجنوب الذي نعرفه بإنتاجه المعرفي والسياسـي، وبسبب سعة أرضه لم تتمكن قوة في الفترة التي نتحدث عنها من توحيده، بطريقة استبدادية بل ضلت كل إمـارة تحكم نفسـها ولا تتدخل في شئون غيرهـا، ولم يحكم تلك المنـاطق حكما شبه شـامل إلا دولـة حضـرموت حتى القرن الرابع الميلادي،ثم الحميريين،وفي عهد الأيوبيين وبني رسول وجزئيا بني طاهر.

الزراعة

والزراعة موجـودة في كل المنــاطق تقريبا ولا تخلـوا منطقة منهـا، وهي مرتبطة بميـاه الأمطـار والغيـول، وكلما هطلت أمطـارا غزيـرة كلما كـان الإنتـاج الـزراعي أكثر، والعكس صـحيح كلما قلت الأمطـار كلما قل الإنتـاج الـزراعي، وحصـلت المجاعـات والضـيق والمشـاكل بين النـاس بعضـهم البعض الخ.وقد كان يستخدم الإنتاج الزراعي للاستهلاك وبعضه يصدر إلى الخارج.

وقد استخدم النـاس طريقة المدافن لخزن الحبـوب، وهي حفر تحت سطح الأرض بعمق وعرض عدة مترات للكبيرة منها، ويتم خزن الحبوب فيهـا. ويمكن تركه بداخلها لعدة سنين، وهنالك عدة أسباب لاستخدام المدافن لخزن ما هو فـائض من حبـوب، أولا حتى لا يتلف أن هو بقي في أكيـاس بالمخازن، لأن الدفن يوفر للحبـوب عدم التلف أو التسوس.والثـاني هو اضطراب هطول الأمطـار من سنة إلى أخرى، إذ قد يقع خيرا هذا العام ويبقى النـاس بـدون أمطـار لعدة سنين، لـذا فخزن الفائض إلى وقت الحاجة كان ضروريا.

ولم يكونـوا يخزنـون الحبـوب فحسب بل أعلاف المواشي كـان يتم خزنها في مخـازن خاصة بهـا، وفي الأشجار الكبيرة يوضع القصب وهو العلف الذي يؤخذ من زرع الذرة البيضاء.

صيد الأسماك

إذا كانت المناطق الداخلية تعيش على الزراعة فإن المناطق الساحلية كانت تعتمد على صيد الأسماك لتوفير اللحوم لهؤلاء السكان بأسعار مناسبة، وقد ضلت هذه المهنة تمارس في جنوب اليمن لألاف السنين والسبب طول سواحله وغناها بالأسماك.ولا زال صيد الأسماك يوفر مهنة لعشرات الآلاف من الناس حتى الآن.وتوجد في بحار الجنوب من أجود أنواع الأسماك.

التجارة

كانت التجارة ولا زالت جزاء حيويا ومهما من نشاط الإنسان في الجنوب والشرق إذ أن موقعه الجغرافي أهله لتبوء مكانة مهمة كهمزة وصل بين آسيا ممثلة بالهند والصين وإندونيسيا وغيرها وبين المناطق الداخلية في الجنوب والجزيرة العربية واليمن، وبين مصر والشام وإفريقيا.إذ يقع جنوب اليمن في وسط المسافة بين آسيا وإفريقيا أوروبا بعد اكتشاف رأس الرجاء الصالح.وقد تكونت الدول القديمة في الجنوب من دولة حضرموت وأوسان وقتبان إلى الدولة الحميرية، وكان لعدن دورا مهما في قيام وازدهار تلك الدول.

وقد لعبت عدن دورا هاما منذ بداء الإنسان يستخدم البحر وسيلة للنقل، واستخدمت كمنطقة حرة تحت حكم عدة دول واهتمت الدول التي حكمت الجنوب واليمن بعدن، حيث كانت عدن مزدهرة في عهد الدولة الحميرية والتي هي أول دولة في جنوب الجزيرة العربية تستخدم البحر وسيلة مواصلات بينها وبين بعض دول العالم البعيدة ابتداء من القرن الأول قبل الميلاد، وقد كان سبب انهيار الدولة السبائية هو تحول وسائل النقل من قوافل الجمال والحمير والبغال إلى استخدام السفن.ولم يعد موقع مأرب مهما لان المصريين والذين كان اليمنيون يتاجرون معهم وبواسطتهم مع أوروبا استخدموا البحر وسيلة للمواصلات بينهم وبين الدول التي يتاجرون معها.

ونرى في كتب المؤرخين ذكرا لعدن وعائداتها أيام الصليحيين ومن بعدهم آل زريع والأيوبيين والرسوليين والطاهريين...الخ.ولم يذكروا عائدات أية ميناء آخر مثلما ذكروا عدن.

لمحة عن تاريخ جنوب شبه الجزيرة العربية

القصد من هذه المعلومات هو تقديم لمحة موجزة عن تاريخ جنوب شبه الجزيرة العربية، حتى يعرف القارئ الكريم، الإطار العام للأحداث وتسلسلها وكيف وصلت إلى الفترة التي نحن بصدد التأريخ لها.وقد أوجزنا كثيرا، ومن يريد معرفة المزيد عليه بالعودة إلى المراجع التي ذكرنا أو غيرها من كتب التاريخ.

دولة حضرموت

يعتقد الباحثين أن دولة حضرموت تكونت في 1200 قبل الميلاد، وقد اتخذت من شبوة عاصمة لها، وهذه المدينة تقع في شبوة المنطقة، وقد كانت تلك العاصمة تقع على الطريق التجاري القادم من ظفار وميناء قِناء(بير علي حاليا)والذاهب إلى بيحان ثم مأرب في طريقه إلى الحجاز ثم الشام.وهذا يتطابق مع الزمن التي تكونت فيه دولة سباء.ومعروف أن قيام تلك الدول ارتبط بتطور الحياة في جنوب شبه الجزيرة العربية، وبنشوء تجارة البخور واللبان والذي منشئه ظفار وحضرموت،ثم التوابل من الهند.وقد قامت دولة سباء واتخذت من مأرب عاصمة لها، لأنها في طريق التجارة. وقد ضلت دولة حضرموت تحكم من ظفار شرقا إلى رداع والمخاء غربا، وشاركتها دولة سباء فيما بعد في مأرب وكانت الأمور أحيانا في حالة سلم وأحيانا في حالة حرب.وقد ضلت دولة حضرموت قائمة حتى القرن الرابع الميلادي وذلك حينما قامت بغزوها الدولة الحميرية .وضلت تحت حكم الحميريين لحوالي قرنين، ثم بواسطة أقيالها حتى أتى الإسلام، وحُكمت كولاية بحاكم من قبل الخلفاء الراشدين، ومن بعدهم الدولة الأموية والعباسية.(1)

دولة سباء

ذكرنا سابقا أن دولة سباء قامت في الوقت الذي قامت فيه دولة حضرموت، وكان الاختلاف في المناطق التي تحكم من قبلهما فقد كانت دولة سباء تحكم المناطق الغربية الشمالية، وحضرموت كانت تحكم المناطق الشرقية والوسطى والجنوبية من جنوب شبه الجزيرة العربية، وقد انهارت دولة سباء في حوالي القرن الأول قبل الميلاد، بسبب تحول تجارة البخور واللبان من البر إلى البحر، حيث اهتدى المصريون إلى الرياح الموسمية التي تهب في البحر الأحمر واستخدموها للملاحة البحرية والتي كانت أسرع وآمن وأقل كلفة.وبسبب الضربات التي وجهت لها من قبل دولة حِمْير (ذوريدان).(2)

---

(1) محمد عبدالقادر بافقيه،تاريخ اليمن القديم ص 39-وما بعد.

(2) يوسف محمد عبدالله ، الموسوعة اليمنية ، ص 1563-1569

دولة أوسان

هذه الدولة قامت في منطقة بيحان في القرن الخامس الميلادي، وقد وصل نفوذها إلى المخاء غربا،بل وإلى شرق إفريقيا،ومثلها مثل الدول المجاورة لها والتي كانت قائمة آنذاك، فقد نشأت في طريق القوافل التجارية، وقد انتهت فيما بعد بسبب الغزو السبائي لها، وقيام دولة قتبان محلها.(1)

دولة قتبان

قامت دولة قتبان في تمنع ويسمى الآن هجر الناب،في القرن الثالث قبل الميلاد تقريبا بمنطقة بيحان أيضا والتي تقع جنوب مأرب، ولا تبعد عن دولة أوسان كثيرا، وقد اعتمدت على الرسوم التي تجبيها من القوافل التجارية القادمة من حضرموت، وقد سقطت فيما بعد ربما في القرن الثاني قبل الميلاد.(2)

دولة مَعِينْ

هذه الدولة قامت في منطقة براقش من الجوف، وقد كانت مرتبطة بطرق القوافل ونافست دولة سباء في مأرب.وقد نشأت على ما يعتقد العلماء والباحثين في القرن الرابع قبل الميلاد، وسقطت في القرن الأول قبل الميلاد، عند ظهور دولة حِمْير (3)

دولة حِمْير 115 ق.م –525م

هذه الدولة قامت على اثر سقوط دولة سباء بسبب انهيار التجارة البرية، وقد اتخذت من ظفار في يريم عاصمة لها، وقد أزدهر جنوب شبه الجزيرة أو ما سمي في ما بعد باليمن في عهد هذه الدولة.والسبب أن تلك الدولة قامت في منطقة مناسبة مناخيا وجغرافيا، واعتمدت على التجارة ممثلا بميناء عدن وغيرها من الموانئ، وعلى ما تبقى من تجارة برية في مأرب والمناطق الشرقية،وعلى الزراعة أيضا. وقد قامت بحروب كثيرة لتوحيد جنوب شبه الجزيرة العربية، كان آخرها حربها في القرن الرابع الميلادي مع حضرموت.(4)

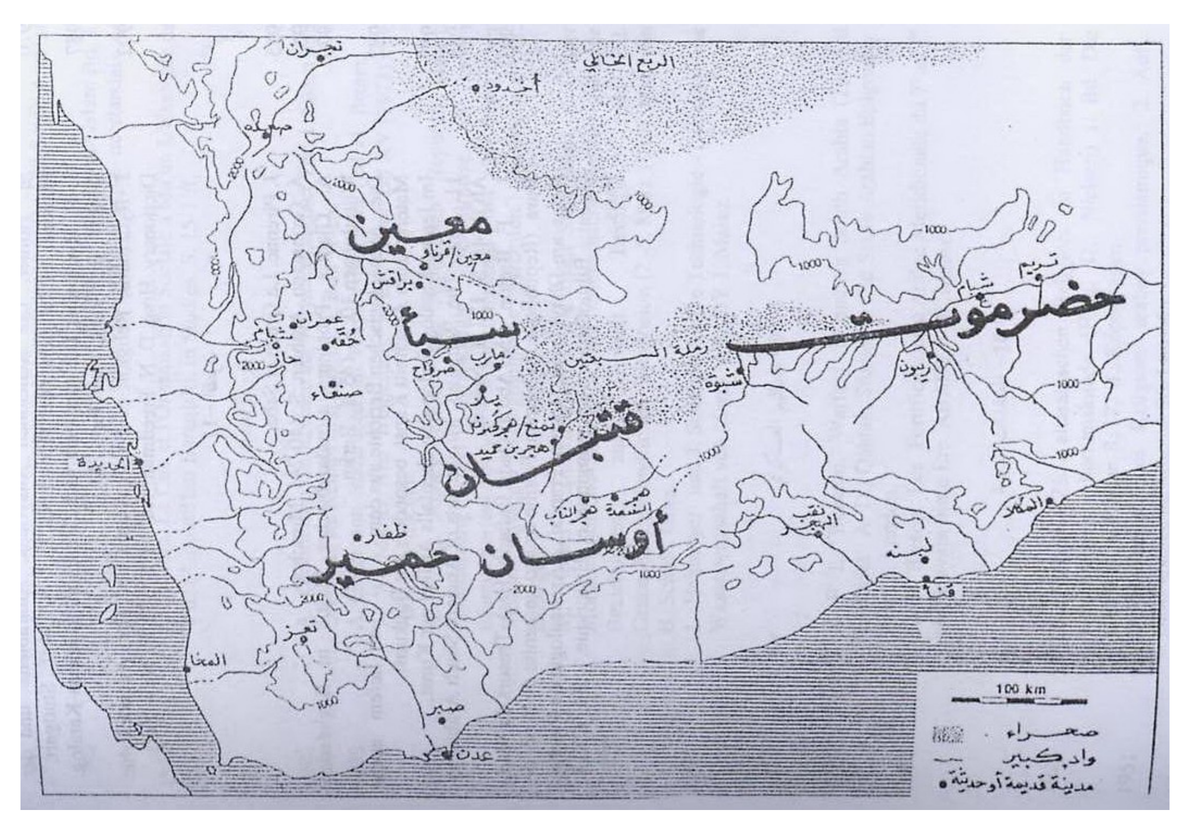
---

(1)كرستيان روبيان،ترجمة علي محمد زيد الموسوعة اليمنية ص 427–430

(2)محمد عبدالقادر بافقيه، الموسوعة اليمنية، ص 2276–2381

(3)يوسف محمد عبدالله ، الموسوعة اليمنية ص 2776–2771

(4)يوسف محمد عبدالله، الموسوعة اليمنية، ص 1213–1219



هذه خارطة لجنوب شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، (المصدر د.حسين مؤنس أطلس تاريخ العالم الإسلامي، والخريطة مقتبسة من موقع HUKAM.NET وقد انهارت عندما غـزا الأحبـاش اليمن في عـام 525م بـدعم من بيزنطة بحجة حماية المسـيحيين من اضـطهاد الملك يوسف (ذو نـواس).وقد قـاوم أهل اليمن الغـزو الحبشي وتم طـردهم حـوالي عـام 570م.بمسـاعدة من الدولة الساسـانية الفارسـية وقد حُكمت بعض منـاطق اليمن من قبلهم.حتى جاء الإسلام.(1)

إسم اليمن

متى وكيف شاع هذا الاسم، أول من استخدم إسم يمنـات كان الدولة الحميريـة، حيث سمت نفسها دولة سباء وذوريدان (ظفار يريم)ويمنـات، وحضـرموت، وتهامـة وأعرابهم وقد ذكر البـاحث التـاريخي اليمـني يوسف محمد عبدالله، أن يمنـات يقصد به ما كـان على يمين عاصـمة الدولة الحميريــة، أي منطقة إب والمعـافر ولحج إلى عـدن.على أساس أن فما كان على يمينه من منطقة ظفار يسمى يمنات.وقد شاع هذا الاسم منذ ما قبل الإسلام بقليل ربما لسهولته، ولشموله لعدة أسماء ومناطق كثيرة.(2)

---

(1) المرجع السابق

(2) يوسف محمد عبدالله، بحوث ومقالات في تاريخ اليمن وأثاره ص 190



خريطة توضح طرق التجارة القديمة في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام (1)

جنوب شبه الجزيرة العربية في عصر الإسلام

جاء الإسلام واليمن تحكم بواسطة أقيالها، وفي صنعاء وما حولها كان يوجد وال فارسي هو باذان، وقد أعتنق اليمنيين الإسلام بعد قيام الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، بإرسال وفود إلى أقيالها وحكامها لدخول الدين الجديد، وقد فعلوا وأرسلت كل قبيلة ومنطقة وفدا إلى المدينة المنورة، معلنة إسلامها.ومنذ ذلك الحين دخل الناس في الدين الجديد، وساهموا في الفتوحات الإسلامية وانتقل الكثير منهم إلى البلدان المفتوحة في العراق والشام وشمال إفريقيا وغيرها.

وبعض العشائر والأشخاص في المناطق الجديدة البعيدة لا زالوا يحتفظون بأسماء قبائلهم حتى الآن.

---

(1) موقع Hukam.Net عن أطلس العالم الإسلامي للدكتور. حسين مؤنس

وقد ضلت اليمن تحكم بواسطة حكام مُعَينين من قبل الخلفاء الراشدين في المدينة المنورة، وكان يُعين لها 3 ولاه واحد لمخلاف صنعاء وما حولها، وثاني لمخلاف الجَنَد وما حوله، وثالث لحضرموت.وهكذا كان عليه الحال أيام الدولة الأموية 36-132 هجرية الموافق 657-750م.وجزاء من أيام الدولة العباسية.

ابتداء من القرن الثالث الهجري بدأت اليمن تُحكم من قبل بعض الولاة والأهالي، بعد ضعف الدولة العباسية مع بقى تبعيتهم والخطبة للخليفة العباسي في بغداد، وقد كان سبب ذلك بعد مقر الخلافة عن اليمن ولوعورة أراضيها وقل خراجها، مقارنة مع خراج بلاد فارس وخراسان وغيرها من مناطق خصبة.

دولة بني زياد 202-412هجرية الموافق 818-1022م

كان محمد عبدالله بن زياد واليا على زبيد من قبل الخليفة العباسي في بغداد، وقد أسس دولته في زبيد ووصل نفوذه إلى مخلاف الجند في تعز، وإب، وإلى عدن وحضرموت. أما المناطق الجبلية فقد كان يحكمها أقيالها =شيوخها وكان يوجد والي في صنعاء له علاقة بالخلافة العباسية في بغداد.(1)

دولة بني يعفر 225-393هجرية الموافق 839-1003م

قامت هذه الدولة في شبام كوكبان،شمال صنعاء, وكان يحكمها آل يعفر الحواليين الحميريين، وقد كان حكمها في المناطق الشمالية الغربية.(2) وكان ولائهم مثل حكام زبيد للدولة العباسية في بغداد.

دولة علي بن الفضل الحميري 293-303 هجرية

قامت هذه الدولة على أساس التشيع للدعوة الإسماعيلية، وقد استخدمت العنف الشديد ضد مخالفيها، وقد انتهت بسبب ذلك العنف بعد قليل من قيامها.ولكن دعوتها إلى المذهب أو الدين الإسماعيلي بقيت، في المناطق الجبلية المرتفعة، خاصة في جبال حراز غرب صنعاء وفي يام شمال شرق اليمن، وفي قاع الحقل بيريم وغيرها. وقد أتبعها بعض الناس وأسسوا فيما بعد الدولة الصليحية بعد حوالي قرن ونصف.(3)

---

(1) د.حسين عبدالله العمري، الموسوعة اليمنية ص 1512-1514
(2) الموسوعة اليمنية، ص 3222
(3) د.نجيب عبدالملك سالم، الموسوعة اليمنية، ص 319-320

دولة الأمام الهادي 284-296 هجرية، الموافق 897-909م

هذه الدولة قامت في صعدة عندما أتى الإمام الهادي يحي بن الحسين، وأسس دولة هناك قائمة على أساس المذهب الزيدي ،وقد انهارت تلك الدولة بعد قليل من قيامها بسبب كثرة المنافسين،وحداثة الدعوة وقل الأتباع والأراضي اللازمة لقيام دولة.ولكنه سيكون لها شأن فيما بعد. وقد أسس الإمام الهادي المذهب الزيدي باليمن. (1)

بنو نجاح 412-552 هجرية، الموافق 1022-1157م

هذه الدولة قامت على أنقاض الدولة الزيادية، وقد كان قادتها من عبيد بني زياد، وهم من أصل حبشي،وقد حكمت منطقة تهامة إلى عدن، بالإضافة إلى نفوذها على مخلاف الجَند أو ما يسمى اليمن الأسفل.وقد سقطت تلك الدولة على يد الدولة المهدية في عام 552هجرية، وانهارت الدولة المهدية بعد قيامها بسبب عنفها ومجي الأيوبيين عام 569هجرية الموافق 1173م.(2)

الدولة الصليحية 439-569هجرية، 1048-1174م

قامت هذه الدولة بسبب ظروف اليمن المضطربة آنذاك ولنضوج الدعوة الإسماعلية في اليمن، وشعورها أنها قادرة على إعلان دعوتها وتأسيس دولتها، وقد وحد الملك على محمد الصليحي اليمن في فترة قصيرة بسبب عدم وجود دول قوية أمامه، باستثناء دولة بني نجاح في زبيد.وبسبب أن هذه الدولة لم تستخدم العنف المفرط مثلما فعلت الدولة الإسماعلية الأولى على يد علي بن الفضل، وقد استفادت الدولة الجديدة من تاريخها السابق.(3)وقد سقطت هذه الدولة عندما أتى الأيوبيين.

الدولة الأيوبية 569-629هجرية، الموافق 1174-1229م

أتى الحكم الأيوبي لليمن أيام القائد الإسلامي الشهير صلاح الدين الأيوبي، وقد كان قائد الحملة على اليمن توران شاه، وقد استولى الأيوبيين على معظم مناطق اليمن، واتخذوا من تعز عاصمة لهم.وقد انتهت تلك الدولة عام 629 هجرية عندما استولى عليها واليهم على اليمن الملك نور الدين عمر بن علي بن رسول. (4)

---

(1) د.حسين عبدالله العمري، الموسوعة اليمنية ، ص 2946-2947
(2) المرجع السابق ص 2946-2948
(3) المرجع السابق، ص 1866-1867
(4) المرجع السابق، ص 430_433

الدولة الرسولية 629-858هجرية، الموافق 1129-1454م

الدولة الرسولية امتدادا للدولة الأيوبية، وقد استولى الرسوليين على معظم مناطق اليمن، زائد مكة المكرمة لعدة سنوات وما حولها،وتعتبر الدولة الرسولية من أكثر الدول عمرا في العصر الإسلامي في اليمن، وقد استقرت اليمن في عهدهم وكان لها مكانة كبيرة في العالم الإسلامي.وقد ازدهرت اليمن في عهد هذه الدولة وتطورت الزراعة والتجارة والصناعة والثقافة.

وكانت زبيد من المدن المشهورة بالعلم في ذلك العصر، حيث نبغ الكثير من العلماء والفقهاء وغيرهم. وقد انتهت هذه الدولة على يد الطاهريين عمال تلك الدولة بعد أن دب الضعف والوهن فيها.والدولة الطاهرية سيتم تناول بعض من تاريخها في الفصل الأتي لعلاقته بتاريخ جنوب اليمن.(1)

---

(1) المرجع السابق، ص 1388-1392

الفرق والمذاهب الدينية

دخل اليمن في الدين الإسلامي عام 10 للهجرة، ولم تكن هنالك مذاهب حتى القرن الثاني الهجري، حين تأسست مذاهب دينية وفقهية متعددة وأصبح أهل كل منطقة أو بلد من بلدان العالم الإسلامي يتبعون مذهبا من المذاهب الإسلامية، وقد أتى الإمام الشافعي إلى اليمن أيام الدولة العباسية عام 169 هجرية، وبقي فيها بعض الوقت قبل أن يعود إلى بغداد، ثم يذهب إلى مصر حيث بقي هناك إلى أن مات.ومنذ ذلك الوقت انتشر مذهبه في اليمن بجانب المذاهب السنية الأخرى مثل المذهب الحنبلي والحنفي والمالكي.

أما الزيدية فتنسب إلى الإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب.وقد جأت إلى اليمن عن طريق الإمام الهادي يحي بن الحسين بن القاسم الرسي نسبة إلى جبل بالقرب من المدينة المنورة.والذي أتى إلى صعدة عام 284 هجرية، وبويع بالإمامة هناك، ونشر مذهبه وأسس دولته..(1)

وقد ضلى نفوذ الزيدية الهادوية في صعدة وما حولها من ناحية سياسية ودينية، ووصل نفوذها إلى ذمار روحيا.ولم تقوى ويشتد ساعدها إلا حين سقطت الدولة الطاهرية عام 923 هجرية 1517 م، والتي كانت آخر دولة سنية تحكم اليمن كلها.وقد أعطى الغزو العثماني لليمن عام 945 هجرية 1538 ميلادية، للزيدية الهادوية دفعة إلى الأمام وقوة كانت تبحث عنها، إذ أصبحت مقاومة العثمانيين هي التي تعطي الشرعية لمن يقاومها أن يحكم ويصبح له النفوذ والسلطة، وهذا ماحصل، حيث قامت الزيدية الهادوية بمواجهة العثمانيين أولا عن طريق آل شرف الدين، والذين تأمروا مع المماليك لحرب الطاهريين، ثم حرب العثمانيين حتى وفاة المطهر بن شرف الدين عام 980 هجرية.وقد أخمدت ثورته بعد وفاته وحين تم نفي بعضا من أبنائه إلى تركيا.ولكن الزيدية الهادوية لم تهدا فقد قام القاسم بن محمد بإعلان نفسه إماما عام 1006 هجرية، وثأر ضد العثمانيين وبعد 39 عاما من الثورة ضدهم، استطاع أن يجبرهم على الانسحاب من اليمن، وبعد ذلك سطع نجم الزيدية الهادوية ووصلت لأول مرة إلى السلطة وحكم اليمن كلها.

---

(1) سيد مصطفى سالم، مرجع سابق ص 19

وقد أدى ذلك إلى أن الزيدية الهادوية وجدت ذلك فرصة لها لنشر مذهبها إلى المناطق التي لم يكن موجود فيها، والانتقام من المخالفين لها وإجبارهم على اعتناق مذهبها أو دفع إتاوات وعشور باهظة هي أقرب إلى الجزية منها إلى الضرائب والزكاة،وهذا ما جعل من بعض المناطق المحاذية لمناطق الزيدية الهادوية يعتنقون مذهبها،مثل الحداء عام 1046 هجرية. (1) ومناطق أخرى في رداع، ويريم وخبان، وإريان، وغيرها.دخلوا مذهب الزيدية الهادوية حتى لا يدفعون جزية ولأجل أن يستفيدوا من العمل مع الدولة الجديدة.والمناطق التي لم يعتنق أهلها مذهب الزيدية الهادوية مثل اليمن الأسفل وتهامة وغيرها فرضت عليهم جزية باهظة، وتم إجبارهم على التقاضي حسب المذهب الهادوي، وإضافة حي على خير العمل في الآذان.وبالنسبة لجنوب وشرق اليمن، فقد فرض على سكانه دفع الجزية عندما تم غزوه عام 1065هجرية. نرى هنا كيف إن الحكم العثماني لليمن،هو الذي أعطاهم الفرصة للظهور وللمقاومة وللشرعية.وقد استغلوا أخطاء الولاة العثمانيين وكبروها وضخموها أمام رعاياهم، وأستخدم بني القاسم الدين سلاح مقاومة ضد العثمانيين واستغلوا الاختلاف المذهبي بين السنة والشيعة من أجل تأليب سكان المناطق الزيدية الهادوية ضدهم، وكون بني القاسم ومن يشايعهم آرائهم من رجال الدين فقد كانت معارضتهم للعثمانيين لها ما يبررها عند الناس، واكتسبت شرعية دينية وسياسية.

وبيت القاسم والسادة الزيود الهادويين، وجدوا أن الحرب ضد العثمانيين ستوصلهم إلى ما يريدون ألا وهو حُكم اليمن كله, وتحقيق حلم طال انتظاره أكثر من سبع مائة عام.لأن موقع الزيدية الهادوية كان إلى قبل مجيء العثمانيين لا يتجاوز سياسيا منطقة صعدة وما حولها. ولتحقيق هذا الحلم فقد عملوا بشكل مناسب وثابروا حتى استقلت اليمن عن الحكم العثماني، خاصة وأنه لا توجد قوة أخرى في اليمن يمكن أن تنافسهم السلطة فيما بعد انسحاب العثمانيين.وشيوخ المناطق الشمالية وقبائلها صار لهم عشرات القرون وهم لم يمارسون أية سلطة في مناطقهم، وليست لديهم خبرة أو دراية بكيفية الوصول إلى السلطة أو أمور الحُكم.ومن ناحية أخرى فدعوة الأئمة والتي لم تجرب بعد، كان لها جاذبية عند الناس بحيث كانوا يَعِدونهم بدولة الأمن والأمان والرخاء والإسلام..الخ.وكل دعوة أو دولة جديدة تكون في الغالب مقبولة لدى الناس، حتى يجربونها ويعرفون حقيقتها.والعصبية التي كانت تقف وراء هذه الدولة وهم السادة، لم يستنفدوا بعد لا قواهم ولا سمعتهم.

---

(1) ابن الوزير طبق الحلوى، ص 50

بنو القاسم كيف وصلوا وبقوا في السلطة..؟

الأمـام القاسم خلف 13 ولـدا، وكـان له أقربـاء كـثر، بالإضـافة إلى السـادة من الزيدية الهادوية، والـذين وُلُـوْ مناصب كثـيرة بعد الاسـتقلال، وقد عملـوا كفريق واحد وكـان منهم السياسـي، مثل الإمـام القاسـم، وابنه المؤيد وغـيره من أبنائـه، والقائد العسـكري مثل الحسن بن القاسـم، وابنه أحمـد، والفقيه مثل الحسـين بن القاسم والإمام إسماعيل، والمثقف، والمؤرخ مثل يحي بن الحسين، وحسام الدين أبو طالب.وغيرهم الكثير.

هذا من بيت القاسم ومن بيوت السادة الآخرين ظهر أناس كثر شاركوا في قيام الدولة الزيديـة، مثل آل حنش، والأخفش، والجرمـوزي، وجحـاف،وشـرف الـدين وغيرهم، وقد سيطروا على القضاء ووظائفه في اليمن حتى وقت قريب، ولا زال لهم فيه نفـوذا إلى الآن، بالإضـافة إلى شـيوخ القبائل وأعيانها والـذين عملـوا كمـأمورين عند السـادة.وكـانوا قـادة صـغارا للعسـاكر والجنـد، وعمـالا في بعض المناطق.

وماذا بعد الوصول إلى السلطة...؟

هذا الوضع يعتبر سابقة في تاريخ اليمن بسبب تعقيده وفرادتـه، أولا بسبب كثرة من خلف الإمام القاسم، ومن ثم أولاده، وأحفادهم، إذ لم تمر 70 سنة على وفـاة المؤسس للدولة وهو القاسم بن محمـد، إلا وقد ظهر العشـرات من بـني القاسم وكل واحد منهم يريد أن يكون إماما وفي أقل الأحوال واليا على منطقة، والسـادة الآخـرين لهم مطـالبهم والقبائل لها طموحاتهـا، وهـذا ما أدى إلى حصـول صـراع مرير بين أحفـاد الأمـام القاسـم، وقد اقتسـموا البلاد كل صـاحب نفـوذ منهم في منطقـة، هـذا له صـعدة وذاك صـنعاء، وآخر في عمـران، وآخر العـدين، أو إب وجبلـة، وغيره تعز وهكذا دواليك.ولم يأت عهد المنصور الحسين بن القاسم بن الحسـين أي بعد مائة عـام من انسـحاب العثمـانيين من اليمن، إلا واليمن يعيش بتلك الصورة والحالة.

من هنا نـرى أن الأسـباب الـتي أوصـلتهم إلى السـلطة، هي الـتي كـانت سـببا لضـعفهم وانهيـارهم فيما بعـد.لأن ذلك التجمع والتكتل لم يكن غرضه الـوطن أو

الدين حسب الشعارات التي رفعت، ولكن كان غرضه الوصول إلى السلطة واثبات الوجود، بدون ما يكون هناك إطار قانوني يلتزم به الجميع ويكون يعالج أية مشاكل تظهر، مثل الدساتير وغيرها.

وكان المعيار للوصول إلى منصب الإمام هو القرب من شخص الإمام السابق، والقدرة على استخدام القوة في ضرب المعارضين والمنافسين وشراء الذمم.ونفس الشيء ينطبق على تولي حكم المناطق الأخرى إذ كان حكمها يأتي في الأهمية بعد الإمامة، إذ أنها تتيح لمن يتولاها التصرف وكأنه ملك لتلك البلاد التي هو فيها، وما للإمام إلا نسبة من ضرائب وعوائد تلك المنطقة.وفي بعض الأحيان ليس له شيء من ذلك.

وعندما أتى الرحالة الألماني كارستن نيبور إلى اليمن عام 1176 هجرية الموافق 1763م، ذكر أن تعز كانت تحت سيطرة واليها، أحمد بن المتوكل أو ربما ابنه وهو أخ الأمام المنصورالحسين بن القاسم بن الحسين بن أحمد بن الحسن، والحسين بن القاسم هو والد الأمام المهدي عباس والذي حكم من بعد وفاة والده عام 1161هجرية، وعتمة ووصاب كانت تحت سيطرة آل إسحاق وهم من نسل إسحاق بن أحمد بن الحسن،وصنعاء ومناطق أخرى كانت تحت سيطرة الإمام المهدي عباس، وكانت صعدة تحت سيطرة أناس آخرين، وهكذا.

وقصدنا من هذا العرض هو إعطاء فكرة للقارئ الكريم عن دولة بني القاسم والزيدية الهادوية وكيف تكونت، وكيف كانت تحكم.وليس غرضنا التأريخ لها.ولمعرفة الوضع السابق لدولة الأئمة، والسياق الذي جرت فيه الأحداث في اليمن فيما بعد.

خاتمة الفصل الأول

تناولنا في هذا الفصل موقع وجغرافية جنوب وشرق اليمن، وطبيعة المناخ، وكمية الأمطار التي تسقط فيه سنويا، وطبيعة النشاط الاقتصادي الذي يمارسه السكان، من الزراعة إلى الرعي، وصيد الأسماك، وبعض الصناعات المرتبطة بالموارد المتوفرة والمصنوعات المطلوبة.

وفيه تناولنا قيام دولة حضرموت في القرن الثاني عشر قبل الميلاد، والتي كانت تتخذ من شبوة عاصمة لها (شبوة مدينة صغيرة في شبوة المحافظة حاليا)وسقوطها تحت سيطرة الدولة الحميرية في القرن الرابع الميلادي.ثم قيام دولة سباء في الوقت نفسه تقريبا الذي قامت فيه دولة حضرموت، وسقوطها تحت سيطرة الدولة الحميرية في القرن الأول قبل الميلاد.وذلك بسبب تحول طرق التجارة البرية إلى البحرية، وانخفاض الموارد التي كان تقوم عليها تلك الدول والقائمة على الضرائب والعشور التي تجبيها من مرور القوافل التجارية.وبسبب الضربات التي تلقتها من دولة حمير.

ثم عرجنا على دولة أوسان والتي قامت في بيحان، في القرن الخامس الميلادي وقد سقطت عندما غزتها دولة سباء، وحلت محلها دولة قتبان، ودولة قتبان قامت على أنقاض دولة أوسان، في طريق التجارة في تمنع هجر كحلان في منطقة بيحان، وقد سقطت فيما بعد.واشتهرت هذه الدولة بتشريعاتها وقوانينها.

ثم قامت دولة معين في القرن الرابع قبل الميلاد، في منطقة براقش من الجوف، شمال غرب مأرب، وسقطت في القرن الأول قبل الميلاد على يد دولة حمير.

ومن بعد معين قامت دولة حمير في العام 115 قبل الميلاد، واستمرت حتى العام 525م أي أنها دامت 640 عاما، وقد توحد جنوب شبه الجزيرة العربية في عهد هذه الدولة، وازدهرت اليمن، وكان سبب قيامها هو ضعف دولة سباء، بسبب تحول طرق التجارة من البر إلى البحر.وقد سقطت عندما غزا الأحباش اليمن عام 525 م، بمساعدة من الإمبراطورية البيزنطية.وقد طِرد الأحباش من اليمن في العام 570م، بمساعدة الدولة الفارسية آنذاك.

ثم أتى الإسلام وأعتنق اليمنيون الدين الجديد، وحكم اليمن ولاه من قبل الخلفاء الراشدين، ثم من قبل الدولة الأموية، والعباسية، وابتداء من القرن الثالث الهجري، قامت إمارات في اليمن شبه مستقلة عن الخلفاء العباسيين في بغداد، وقد قامت الدولة الزيادية في زبيد عام 204هجرية، وسقطت هذه الدولة عام 412 هجرية، وفي مكان آخر من اليمن في منطقة شبام كوكبان، قامت الدولة اليعفرية عام 225هجرية والتي استمرت حتى عام 393هجرية، وفي صعدة قامت إمارة الإمام الهادي من عام 284 –296هجرية.وفي زبيد قامت دولة بني نجاح الأحباش عام 412 هجرية، على أنقاض الدولة الزيادية واستمرت حتى عام 552هجرية، وقد سقطت على يد على بن مهدي الرعيني.

ثم الدولة الصليحية والتي قامت عام 439هجرية وسقطت عام 569 هجرية على يد الأيوبيين، وقد اتخذت من جبلة في إب عاصمة لها، ثم أتت الدولة الأيوبية من عام 569 إلى عام 629هجرية وكانت عاصمتها تعز، ومن بعدها أتت الدولة الرسولية وقد استخدمت نفس العاصمة لأنها امتداداً للدولة الأيوبية، وقد استمرت من عام 629–858هجرية.وسقطت تلك الدولة وقامت الدولة الطاهرية والتي اتخذت من المقرانة في جُبَن عاصمة لها.واستمرت حتى عام 945هجرية.

ثم عرجنا على كيفية قيام الفرق الدينية في اليمن، حيث أتى إلى اليمن الإمام الشافعي عام 169 هجرية، ومنذ ذلك الوقت انتشر مذهبه هناك، وأتى الإمام الهادي إلى صعدة عام 284هجرية، مؤسس المذهب والدولة الزيدية الهادوية في اليمن.وبعد ذلك تناولنا كيف وصل آل القاسم إلى السلطة في اليمن.

الفصل الثاني

تاريخ جنوب وشرق اليمن

الدولة الطاهرية وحضرموت 858-870 هجرية 1454-1466م

كانت تقيم في عدن قبيلة آل كلد وآل أحمد وكلاهما من يافع، وكانت بينهما منافسة على النفوذ، وقد اتفق الشيخان على وعامر بن طاهر، مع قبيلة آل أحمد أن يُعينوهما على الاستيلاء على عدن، بعد ضعف دولة بني رسول وتنازع السلطة بين ملوكها وأمرائها.وقد أعان أهل أحمد الشيخان علي وعامر بن طاهر في الاستيلاء على عدن في23 رجب عام 858 هجرية، الموافق 18يوليو 1454م حيث ساعدوهما في حراسة بعض الأماكن، وفي إرشادهم إلى مداخل المدينة. وكان ذلك مقابل وعد من آل طاهر أن يقوموا بطرد أهل كلد من عدن، وهذا ما تم إذ بعد سيطرتهما على عدن أعطى الملك عامر بن طاهر أهل كلد فرصة 3 أيام للرحيل من عدن، إلى أية جهة يريدون. وقد رَحل أكثرهم إلى الشحر بحضرموت، وقد حرضوا أميرها بادجانة على غزو عدن والاستيلاء عليها حيث وهم يعرفون مداخلها، وهذا ما قام به بادجانه في شهر ربيع الآخر عام 861 هجرية مارس 1457م، ولكنه تم الإبلاغ عن حملته عليها من قبل أناس من حضرموت مناوئون له، وفشلت تلك الحملة بفعل ذلك، وبسبب حصول ريح معاكسة قوية كسرت سفن بادجانة وقد أُسر هو ومن معه حول عدن، وقد ترك بادجانة والدته تحل محله في إمارة الشحر، وقد حزنت لحادث أسره واعترضت على محاولة غزوه لعدن، وأتت هي بنفسها إلى الملك الظافر عامر بن طاهر وقبلت أن تسلم خراج الشحر لآل طاهر، مقابل إطلاق سراح ابنها وقد عُيِن جياش السنبلي أميرا على الشحر من قبل آل طاهر، وأطلق سراح بادجانة.(1)

وقد تمرد أخ محمد بن سعيد بن فارس بادجانة على الدولة الطاهرية في أول عام 866 هجرية الموافق 1461م وطرد عامل الطاهريين من هناك، وقام باعتراض السفن الآتية إلى عدن، وجهز الطاهريين حملة عسكرية كبيرة لاستعادة الشحر ولتأديب بادجانة في شهر صفر من عام 866 هجرية نوفمبر 1461 م ولما وصل إليها الملك الضافر هرب بادجانة وتم استعادتها، ووِلِي عليها شخص من طرف آل طاهر هو احمد بن إسماعيل بن شقراء النمي، وينوب عنه بدر بن عبدالله الكثيري.(2)

---

(1) ابن الديبع بغية المستفيد ص 126

(2) الفيصلي، تاريخ الدولة الطاهرية ص 30-31

صاحب ظفار وحضرموت. ولا يأتي ذكر لحضرموت بعد ذلك التاريخ في كتب مؤرخ الدولة الطاهرية إبن الديبع، ويبدوا أن مدينة الشحر وماحولها ضلت تحت سيطرة الأمير المعين من بنو طاهر حتى وفاة الملك الظافر الأول عامر بن طاهر مقتولا في صنعاء عام 870 هجرية الموافق 1466م.لأن أخيه الملك المجاهد علي بن طاهر ترك صنعاء وصعدة للأئمة، واكتفى بما تحت يده.لذا فقد سيطر عليها بنو الكثيري، حسب الأمر الواقع وقد كانوا مسيطرين على باقي مناطق حضرموت بالإضافة إلى ظفار.

بالنسبة لمأرب يبدوا أن شيوخ القبائل كانوا يحكمونها منذ ذلك الوقت لأنه لم يرد لها ذكر أيام بني طاهر، وقد جاء ذكر مأرب في كتاب العقود اللؤلؤية الجزء الأول انه تم إرسال أميراً إلى هناك في عام 696 هجرية الموافق 1270م أيام الملك المظفر يوسف بن عمر رسول.ومن بعد ذلك التاريخ لم يعد لها ذكر وربما أنها أصبحت تحكم من قبل شيوخها منذ عام 750 هجرية الموافق 1350م، وذلك حينما بدأت تضعف الدولة الرسولية.(1)

حالة حضرموت في الفترة من 870-945 هجرية الموافق 1466-1538م

لقد حاول أبودجانة الاستيلاء على الشحر من آل الكثيري عام 883 هجرية، الموافق 1478م وقد سيطر عليها لفترة قصيرة ثم استعادها آل كثير، وحاول فارس بن مبارك بادجانة الاستيلاء على الشحر مرة ثانية عام 887 هجرية، الموافق 1482م وكان فيها محمد بن بدر الكثيري، وقد قتل بادجانة ومحمد بن بدر الكثيري.وتولى أمر الشحر عبدالله بن جعفر الكثيري وهو السلطان الثامن من سلاطين آل كثير.(2)

السلطان محمد بن عبدالله الكثيري

وقد تولى السلطنة في سنة 910 هجرية الموافق 1504م وفي عام 915 هجرية الموافق 1509م تمرد العوابثة ضد الدولة وقام السلطان عام 916 هجرية الموافق 1510م بحربهم وأسر 32 منهم وأخذهم إلى ظفار وسجنهم هناك، وقد جعل منه هذا الحادث مهاب الجانب.

السلطان محمد يتنازل لأخيه بدر (بوطويرق) عام 927 هجرية الموافق 1522م

وحصول شقاق بينهما يؤدي إلى اقتسامهما لحضرموت.ووفاة السلطان محمد بن عبدالله عام 947 هجرية، الموافق 1540م.(3)

---

(1)الخزرجى، العقود اللؤلؤية في أخبار الدولة الرسولية الجزء الأول ص 259

(2)محمد بن هاشم، تاريخ الدولة الكثيرية ص 51

(3) بن هاشم، مرجع سابق ص 53

الغزو المملوكي لليمن 921-923-1515-1517 م

لن نقوم هنا بشرح كل أسباب الغزو المملوكي لليمن، والعوامل التي أدت إليه لان ذلك سيتطلب منا الكثير من الشرح والتحليل والمعلومات والتي ستخرجنا عن هدفنا، وهو نشؤ إمارات جنوب وشرق اليمن .ولكننا سنتناول ما هو متعلق بموضوعنا، والمقدمات التي أدت إليه.

في 16 محرم من عام 919هجرية الموافق 24 مارس من عام 1513م، حاول البرتغاليون احتلال عدن، ولكن تمت مقاومتهم وصدوا من هناك، وقد كان سبب هزيمتهم هو قوة الدفاع عنها من الجيش الطاهري والأهالي، وسقوط الكثير من القتلى البرتغاليين بعدما نزلوا إلى البر. وكان قائد الحملة هو البوكيركAlbuqueque نائب الملك البرتغالي، وقد قام البرتغاليين بحرق 40 سفينة للأهالي في ميناء عدن، وانسحبوا من هناك باتجاه جزيرة كمران، حيث استولوا عليها في صفر من عام 919 هجرية الموافق أبريل 1513 م، وخربوا كل ما فيها من عمران، وردموا أبارها، وذلك حتى لايستفاد من الجزيرة بعد تركهم إياها.بعد ذلك حاولوا الإبحار نحو جدة لمهاجمتها ولكن الرياح صدتهم وعادوا إلى جزيرة كمران، وبقوا فيها شهرين، ثم هاجم البرتغاليين ميناء زيلع، وأحرقوا السفن الراسية في مينائها، وعاد البوكيرك إلى عدن وضربها بالمدافع لمدة أسبوعين، حتى غادرها إلى الهند في أول جمادي الثانية عام 919هجرية الموافق 4 أغسطس 1513م. (1)

.وقد طلب الملك الظافر حينها عامر عبدالوهاب مساعدة المماليك حكام مصر لليمن حيث لديهم أسطول بحري ،ولكنهم لم يستطيعوا إرسال نجدة عاجلة لا وقت الهجوم على عدن ولا بعد الهجوم عليها، حيث بقي البرتغاليين في جزيرة كمران لمدة شهرين ولم يقاومهم احد .لأن الطاهريين لم يكن لديهم أية سفن بحرية حربية تستطيع مواجهة البرتغاليين في عرض البحر.

هذا الطلب من اليمن لمصر بمساعدتها جعل المماليك يفكرون في الاستيلاء على اليمن، لأن المستعين يغري معينه بالاستيلاء عليه، وعدم وجود السلاح الحديث لديها مثل البنادق والمدافع وغيرها.وقد عمل المصريون أسطولا كبيرا بمساعدة الدولة العثمانية، وانتهوا من بنائه عام 921هجرية الموافق 1515م وكان عدد سفنه حوالي 20 وعدد أفراده 6 ألف جندي، وأصبح جاهزا للعمل وأرادوا بعد الانتهاء من إنشائه إرساله إلى البحر الأحمر والعربي ومن ثم إلى الهند لمطاردة القوات البرتغالية.(2)

---

(1)سيد مصطفى سالم الفتح العثماني الأول لليمن 1538-1635 م عن ابن الديبع الفضل المزيد ص 88_89

(2) المرجع السابق ص 96

وأول مكان ذهبوا إليه كان جدة في الحجاز، ثم تحركوا من هناك إلى جيزان، حيث أرسل قائد الأسطول المملوكي رسولا إلى السلطان عامر عبدالوهاب يطلب منه مساعدة المماليك بالمال والطعام على حرب البرتغاليين، وحين وصل الكردي إلى جزيرة كمران في 17 ذولقعدة عام 921 هجرية 23 ديسمبر 1515 م أرسل رسلا أخرى إلى السلطان عامر وإلى ابنه في زبيد يطلبون منهما التعاون معهم، وقد تكلم السلطان عامر مع مساعديه وهم علي محمد البعداني، وعلي محمد النظاري، وطلب رأيهما وكان رأي البعداني عدم تقديم أية مساعدة لهم، حتى لاتكون هذه المساعدة دائمة، أما النظاري فقد طلب من السلطان عامر تقديم المساعدة لهم حتى يتقى شرهم.(1) ولا يعرف طبعا حجم تلك المساعدة ..وقد مال الملك الظافر إلى رأي البعداني.وهو عدم تقديم أية مساعدة لهم.وقد عاد الرسول إلى حسين الكردي وأبلغه بموقف الطاهريين. أما إمام الزيدية الهادوية حينها يحي شرف الدين فقد أرسل رسولا إلى حسين الكردي، وهو في جزيرة كمران، يطلب منه إنزال قواته إلى سواحل اليمن وإسقاط الدولة الطاهرية، لكن الكردي طلب التريث حتى يرسل رسول آخر، وقام بإرسال رسول آخر إلى السلطان عامر وهو بالمقرانة، وطلب منه تقديم المساعدة للمماليك أو أن قواته ستقوم بغزو اليمن.!.وقد كان جواب السلطان عامر مثل جوابه في المرة الأولى، فما كان من حسين الكردي إلا أن قام بغزو اليمن، وقد ابتداء ذلك باحتلال زبيد ومن هناك تعز ومن تعز المقرانة، وقد وقعت معركة كبيرة في الغُفَرةَ بحجاج في منطقة جُبَن وهزمت العساكر المملوكية، وقد أدى هذا إلى قيام الملك الظافر بملاحقة من تبقى منهم إلى صنعاء، وعندما وصل هناك قام المماليك بقتالهم قبل أن يحطوا أحمالهم، أي يقيموا لهم مواقع ومتاريس ويوزعون القوات والأدوار..الخ وقد قتل الشيخ عبدالملك بن عبدالوهاب شقيق الملك يوم الخميس 22 ربيع آخر عام 923 هجرية، وأخيه اليوم الثاني أي الجمعة 23 ربيع آخر,الموافق 15 مايو 1517 في صنعاء .وبعد ذلك أعلن أمير صنعاء البعداني استسلامه وتم قتله وانتهاب صنعاء نهبا ذريعا.لقد كان الجيش المملوكي يتكون من عناصر منوعة، من بقاع وشعوب كثيرة، وكان همهم نهب المال، وقد سماهم المؤرخ القدير سيد مصطفى سالم،مغامرين حربيين، إذ لم يكن لهم هدف واضح، إلا البحث عن بقعة تؤيهم،ويعيشون فيها ومنها..! ولا يهمهم إن قُتِلوا أو قَتَلوا .خاصة بعد مقتل ملكهم قانصوه الغوري على يد الأتراك في شهر يونيو عام 1517م.

---

(1) المرجع السابق ص 98

وقد قتل بعد ذلك ملك مصر المملوكي الشركسي في الشهر التالي أي في يونيو من عام 1517 م وحكمت مصر من قبل العثمانيين، وأعلن من تبقى منهم تأييدهم للدولة العثمانية.بقي المماليك في زبيد وتعز وبعض مناطق اليمن، أما عدن ولحج ورداع وبعض المناطق فقد ضلت تحت نفوذ الأمراء الطاهريين، وكان آخرهم عامر بن داود والذي حكم عدن حتى مجيء العثمانيين، وقد تم قتله عام 945 هجرية في عدن من قبلهم وتم الإستيلاء عليها، ومنذ ذلك الوقت دخلت اليمن تحت الحكم العثماني، وبذلك أنتها عصر وبداء عصر آخر مختلف برجاله وظروفه وملابساته.

بداية الصراع بين الأئمة والمناطق الشافعية

في عام 935 هجرية قام المطهر بن شرف الدين بغزو المقرانة ونهبها وهدم مبانيها، وكانت الأبواب والنفائس التي تم نهبها حمولة مأتين جمل، وقد نهب الكتب التي كانت للسلطان عامر من جُبن والتي قدرت ب 1500 كتاب، وما تبقى لهم من أموال ونفائس كانت مخبئة في حقل الفارد بدمت حيث نهبت أيضا.

وقد ضلى من تبقى من آل طاهر يقاتل في عدة جبهات، مثل المماليك، والأئمة ومما جرى في هذه الفترة حادث موكل في صباح بالقرب من رداع، حيث أتى المطهر بن شرف الدين، وهاجم معسكرا لآل طاهر في 24 ربيع الأخر عام 941 هجرية، وحصل قتال بين الجانبين وكانت الغَلَبة لصالح المطهر وجيشه حيث فاجأهم بالهجوم وهم على غير استعداد، وتم له أسر 2600 جندي، من عسكر آل طاهر وأمر في الحال بقتل 1300 منهم، أي نصفهم ووصلت الدماء حتى غطت حوافر بغلته.!!وأمر كل أسير من المتبقين وهم 1300، بأن يحمل كل واحد منهم رأس قتيل ومروا برؤوس القتلى والأسرى على المناطق المختلفة، حتى وصلوا بهم إلى صعدة،لكي يراها الناس هناك، ويراها احد فقهاء الزيدية الهادوية الكبار، واسمه عماد الدين يحي بن إبراهيم النصيري..!..وقد أعدم المتبقين وهم 1300 بعد ذلك.(1) ودفنوا بصعدة. لم يسبق لأحد من ملوك اليمن ، أن فعل هذا الفعل بالأسرى،والأسير له حق أن يعيش،ومن أقوال الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، حينما وصى المسلمين، أن لا يقتلون لا طفلا ولا عاجزا ولا امرأة،ولا أسيرا..الخ

---

(1) عيسى بن لطف الله المطهر، روح الروح فيما حصل في القرن العاشر من الفتن والفتوح ص 94_103

هـذا الحـادث العـنيف وغـيره أصـابت أهل السـنة بـالفزع والخـوف على أرواحهم وعقيـدتهم وممتلكاتهم، وقد أتت الدولة العثمانية وملئت بعضا من هذا الفراغ، ولكن مشائخ وسادة واعيان المناطق الشافعية استعدوا لحكم مناطقهم، وهذا ماسانتاوله في الفصول اللاحقة. وهذا الوضع والفراغ الذي حصل بسبب عدم وجود أية دولة سنية يمنية، هو الذي مهد لقيام سلطنات جنوب ومشرق اليمن، حيث كان ذلك ضروريا للمحافظة على بقاء الجماعة، ولتحقيق الأمن والسلام فيها.والسلطنة التي كانت قائمة في ذلك الوقت هي دولة حضرموت، بقيادة السلطان بدر بن عبدالله الكثيري.(بو طويرق) وهذا السلطان من مواليد 902 هجرية الموافق 1496م.وقد قام بتجنيد جنودا مرتزقة من العثمانيين عام 926 هجرية الموافق 1520م حتى لايقع صراع داخلي، وقد أخضع حضرموت تحت سلطته.وضرب عملة باسمه عام 942 هجريـة.الموافق 1535م، وفي هذه الفترة قامت قبائل الحموم بتمرد على بوطويرق وقد أخمد ثورتهم عام 936 هجرية الموافق 1529م وأيضا ثارت قبائل نهد عام 938 هجرية الموافق 1531م.(1)

هجوم البرتغاليين على الشحر

قام البرتغاليون في 9 من شهر ربيع عام 929 هجرية الموافق 25 ينـاير 1523م بمهاجمة مدينة الشحر وبقوا فيها 3 أيام، وقد قاومهم الأهالي هناك ووقعت معارك بين الجانبين،وبعد ذلك انسحبوا من هناك باتجاه الهند.وقد قتل من الأهالي سبعة أشخاص، وكان عدد السفن المهاجمة 14 سفينة.وهذا اليوم مشهود في تاريخ حضرموت حيث يحي الناس ذكرى الشهداء السبعة الذين قتلوا من أهالي حضرموت حتى يومنا هذا.

وفي شهر ربيع الأول من عام 942 هجرية الموافق سبتمبر 1535م، هاجموا الشحر مرة ثانية والسلطان فيها، وقد وقعت معركة كبيرة هزم على أثرها البرتغاليين من قبل أهل حضرموت، وتم أسر 70 منهم، وتوزيعهم على قوات بوطويرق، والتي تتكون من الزيود وأهل يافع والعبيد أهل النوبة وغيرهم. وفد أتى وفد من الهند للتوسط بين بوطويرق والبرتغاليين وذلك لإطلاق سراح الأسرى، وقيام صلح بين البرتغاليين وحضرموت.(2) لقد كان يملك البرتغاليين أسطولا حربيا ضخما، منذ بداية القرن الخامس عشر، وكان متواجدا في البحر العربي، والمحيط الهندي، ولقد عاثوا فيه فسادا، وعملوا على تقويض دول مثل هرمز، وغيرها في الهند.

---

(1) بن هاشم، مرجع سابق ص 56-61

(2) المرجع السابق ص 65-66

وصـــول وفد من الســـلطان العثمـــاني إلى بوطـــويرق في 18 ربيع الأول عـــام 944 هجريـــة.الموافق 24 أغســطس 1537م، وإرســال أســلحة من العثمــانيين لبوطـــويرق لمواجهة البرتغاليين.(1)

وصول العثمانيون إلى عدن

في 7 من شهر ربيع الأول من عام 945 هجرية الموافق 3 أغسطس 1538 م وصل العثمانيين إلى عدن وقد قام سلطانها حينئذ عامر بن داود، بفتح أبواب المدينة للعثمانيين للسماح للجنود بالدخول وأخذ ما يشأون من طعام ومؤن حسب طلب قائد الحلمة العثمانية سليمان باشا. حيث كانت خطتهم المعلنة هي الوصول إلى الهند لمواجهة البرتغاليين، ولم يكن يعلم سلطان عدن وأهلها أن العثمانيين يريدون السيطرة على عدن، وقد أمر سليمان باشا جنوده سرا بقيادة فرحات الصوباشي، بالاستيلاء على المدينة، حيث قام السلطان عامر مع 6 من مساعديه بالذهاب إلى سفينة سليمان باشا والغرض استقبالهم والاحتفاء بهم، ولكن سليمان باشا أمر جنوده باعتقال السلطان ومرافقيه وبعد 3 أيام قاموا بشنقه مع مرافقيه وعلقهم على صاري سفينته لمدة 3 أيام، بعد أن علم أن قـــواتهم قد ســـيطرت على المدينة.وقد تم تعـــيين حاكما للمدينة هو بهـــرام وتم تحصينها وترك 500 مائة جندي فيها(2)

سليمان باشا يذهب إلى الهند ويفشل في مهمته ويعود ويمر على الشحر

بعد الاستيلاء على عدن، قام سليمان الخادم بالذهاب إلى الهند وقد فشل في مواجهة البرتغاليين، وعاد إلى الشحر وطلب من سلطانها دفع عشرة ألاف دينار أشرفي للعثمانيين، مقابل تركهم إياه سلطانا على حضرموت، ومساعدته في حالة أي اعتداء عليه من البرتغاليين.(3)

ابتداء الحكم العثماني لليمن كما ذكرنا في عام 945هجرية الموافق 1538م، حين أتى سليمان الخادم وقتل آخر سلاطين عدن عامر بن داود وأستولى على عدن، وواصل سيره إلى الهند لمقاومة البرتغاليين ولكنه لم يحقق شيئا من أهداف الحملة العسكرية، وعند عودته من الهند مر على زبيد ووضع هناك حامية عسكرية. وواصل مسيره إلى مصر.

---

(1) بن هاشم مرجع سابق ص 67
(2) سالم، مرجع سابق ص 161
(3) سالم، مرجع سابق ص 165

الوضع في جنوب اليمن بعد الحكم العثماني

وقد أرسل العثمـــانيين واليا آخر لليمن هو اويس باشا عـــام 952هجرية الموافق 1545م، وقـام بخـوض بعض المعارك مع زعمـاء الزيدية الهادوية في المنـاطق الشـمالية، وهم الإمـام يحي بن شرف الدين، وولده المطهر، وغيرهم، وقد دب الخلاف بين المطهر ووالده وإخوانـه، وأتى العثمانيون واستولوا على صنعاء وما جاورها من مناطق بدون مقاومة منهم.أما مناطق تهامة واليمن الأسفل، ولحج وعدن، فلم تكن هنـاك أية اضطرابات كثيرة لعدم وجـود قيـادة واحدة تقوم بمقاومة العثمـانيين، ولكـون العثمـانيين من أهل السنـة، وعلمـاء اليمن الشـوافع لا يرون الخروج عليهم له ما يبرره دينيا طالما أنهم لم يظهروا كفرا بواح.(1)

بالنسبة لحضرموت فقد اتفقت مع العثمـانيين على دفع 10ألف دينـار اشرفي كل عـام، مقابل تـركهم يحكمـون أنفسـهم، ولم يتـدخل العثمـانيون في شئونـهم، أما المنـاطق الأخرى في جنـوب اليمن وشرقه مثل مأرب والبيضاء ويافع وشبوة وأبين فلم يصل إليها نفوذ العثمـانيين أصـلا، باستثناء البيضـاء ويـافع بعد حـوالي 55 عام من وجـودهم بـاليمن، أي في عـام 999 هجريـة الموافق 1591م.وقد انسـحبوا من هنـاك سـريعا والسـبب أن كلفة بقـائهم كـانت باهظة وأكـثر مما سيحصلون عليه من عائدات من هناك.(2)

ومما عمله العثمـانيون أنهم عينـوا رواتب لمشـائخ بعض المنــاطق مقابل أن يقومـوا بتـأمين الطرق، وأخذ الزكاة وباقي العشور من المواطنين وتسليمها للدولـة العثمانيـة.(وهذا الأسلوب هو ما عملـوا به في حكمهم الثـاني لليمن)والشـيء المؤكد أن البذور الأولى لتكون السلطنات قد بدئت، لأن الدولة العثمانية لم تكن تسيطر سيطرة مباشرة على كل منـاطق اليمن، بل كـانت تحكم القليل من المدن، وهذا ما أدى بدوره إلى تقوية سلطة السلاطين والمشائخ.

لقد قـاوم اليمنـيين الحكم العثمـاني لليمن، وإن يكن فيه بعض الاختلاف مـابين منطقة وأخـرى، وقد كـان العثمـانيون يسيطرون على بعض المنـاطق في جنـوب اليمن مثل عدن والضـالـع، أما يـافع والبيضـاء وغيرها فلم يستطيعون السيطرة عليهـا، وقد تركوها قبل انسحابهم من اليمن بـــوقت مبكر،أي منذ حـــاولوا الســـيطرة عليها في بداية القـــرن الحـــادي عشـــر.

---

(1) سيد مصطفى سالم، مرجع سابق ص 184

(2) المرجع السابق ص 350

وقد أدت حروبهم مع الزيدية الهادوية في الشمال، ومقاومة أهل المناطق الأخرى للعثمانيين بسبب جور ولاتهم، إلى تدهور وضعهم في اليمن.وهذا ما جعلهم ينسحبون منه عام **1045** هجرية الموافق **1635** م.وقد كانت القوة السياسية المنظمة والكبيرة التي حاربتهم هي زعماء الزيدية الهادوية في الشمال.

كان من نتيجة مقاومة الزيدية الهادوية للعثمانيين، أن تكللت حربهم بجعلهم قادة اليمن الجدد، وقد كان سبب مقاومة الزيود للعثمانيين هو الاختلاف الديني بينهما، وبفعل طموحات الأئمة للوصول إلى السلطة، وبسبب أن الزيود الهادويين لم يحكمون اليمن كلها من قبل، فقد حاولوا جهدهم أن يرثوا العثمانيين في المناطق التي كانوا فيها، وبعد سيطرتهم على المناطق الزيدية قاموا بالتوسع جنوبا حتى سيطروا على لحج وعدن وماحولها عام **1054** هجرية.

ولم يكن هنالك من خيار أمام أبناء جنوب وشرق اليمن إلا أن يحكمون أنفسهم، لأنه لم تعد توجد أية سلطة يمكن الاعتماد عليها أو يمكنها المحافظة على الأمن والنظام في البلاد.

ومثلما قلنا أن السلطنات أتى تكوينها وقيامها بسبب الحاجة إليها، وكان ذلك بعد سقوط الدولة الطاهرية، لأنه لم تعد توجد أية قوة لها نفوذ سياسي وروحي، تلم شتات أهل المناطق الشرقية واليمن الأسفل في إطار دولة واحدة، بل وجدت قوة خارجية هم العثمانيين بعدد قليل من الجنود لا يسيطرون بهم، إلا على بعض المناطق والمدن الرئيسية في الشمال، وليس لهم رابط مع الأهالي إلا أنهم مسلمون سنيون، أما الزيدية الهادوية بالشمال فهي تسعى لتحقيق مصالحها الخاصة في إطار مذهبها، وهي تستخدم أهل تلك المناطق كجنود للوصول لأهدافها.

من هنا رأى كل شيخ انه يجب عليه حكم منطقته، وعدم تركها لأحد حتى يستولي عليها، وقد كان بين هؤلاء الشيوخ من هو شيخ قبيلي وشيخ دين وقبيلة في أحيانا أخرى. والواقع أن العثمانيين لم ينسحبوا من اليمن، إلا وقد كان السلاطين والأشراف يسيطرون عمليا على بعض المناطق،ويديرونها بالعرف والتقاليد المحلية وبالشريعة الإسلامية.وعندما انسحبوا لم يحصل فراغ شامل للسلطة في مناطقهم، إذ أن السلاطين قد أصبح لهم نفوذ وخبرة والمجتمع كان متقبلا لسلطتهم، ومنسجما معهم.والمناطق التي كانت تحكم مباشرة من قبل العثمانيين في جنوب اليمن هي لحج وعدن، أما باقي المناطق فقد كانت تحكم من قبل السلاطين والمشائخ والأشراف.

خاتمة الفصل الثاني

في الفصل الثاني تناولنا فيه بعض من تاريخ جنوب وشرق اليمن منذ 858-1045 هجرية، أي منذ قيام الدولة الطاهرية إلى انسحاب العثمانيين من اليمن عام 1045 هجرية.

حيث قامت الدولة الطاهرية عام 858 هجرية، وبعد قيامها قامت بطرد أهل كلد من عدن إلى الشحر وغيرها، وقد حرض أهل كلد بادجانة أمير الشحر حينها على الاستيلاء على عدن، وضمها إلى ممتلكاته، وقد حاول غزو عدن، وفشل غزوه، وهذا ما جعل الطاهريين يرسلون حملة عسكرية إلى حضرموت واستولوا على الشحر، وحكموها حتى عام 870 هجرية تقريبا، ومنذ ذلك الحين حكمها آل الكثيري وغيرهم.وقد غزا المماليك الشركسيين اليمن عام 921 هجرية، وقامت بينهم وبين الدولة الطاهرية حينها حروب انتهت بمقتل السلطان عامر عبدالوهاب في صنعاء عام 923هجرية، وسيطر المماليك على بعض المناطق في تهامة، وبقي الطاهريين في جُبَن ورداع وعدن وتعز إلى أن جاء العثمانيين عام 945هجرية، حين قاموا بقتل آخر سلاطين آل طاهر عامر بن داود في عدن، ومن ساعتها بداء حكمهم لليمن.وفي هذه الأثناء وقبلها صعدت الزيدية الهادوية كقوة سياسية ودينية تنافس الشوافع والعثمانيين.وقد اتفق العثمانيين مع سلطان حضرموت بدر بن عبدالله الكثيري(بوطويرق) على أن يحكم بلاده مقابل أن يدفع لهم 10 ألف دينار أشرفي، وتكون الخطبة والدعاء لهم في الصلوات، مقابل حمايتهم ومساعدتهم لحضرموت إن تعرضت لهجوم من البرتغاليين.

نتيجة لصعود الزيدية الهادوية كقوة منافسة للشوافع، بدأت المشاكل تظهر بينهما حيث قام المطهر بن شرف الدين بقتل 2600 أسير عام 941 هجرية في موكل برداع..هذا الحادث أصاب أهل السنة بالفزع والخوف، مما جعل المشائخ فيما بعد يقومون بحكم مناطقهم والتعاون مع الحكام العثمانيين، ولم يكن للحكام العثمانيين سلطة مطلقة على هذه المناطق، بل كان يشاركهم في حكمها شيوخها وأعيانها وساداتها.

الفصل الثالث

الغزو الإمامي لجنوب وشرق اليمن 1065-1070 هجرية الموافق 1655-1660م.

الإمام يطلب من ابن أخيه أحمد بن الحسن أن يعطيه كشف بميراثه

في شهر ربيع من عام 1051هجرية الموافق يوليو 1641م. طلب الإمام المؤيد محمد بن القاسم من ابن أخيه أحمد بن الحسن، أن يعطيه كشف بميراث والده، والذي توفى في عام 1048 هجرية الموافق 1638م بضوران آنس. ويقول له إن كانت الأموال التي معه من بيت المال فعليه ردها، وإن كانت من ميراث والده فهي لكل الورثة.وهذا الطلب لم يعجب أحمد بن الحسن، فما كان منه إلا أن تحرك من ذي مرمر حصن شمال شرق صنعاء، ومر إلى خولان، وبلاد عنس وقيفة، مع عددا من الجنود ووزع الأموال وحشد بعض الناس معه، وتوجه إلى قعطبة، ولحقت رسالة إلى حاكم ضوران حينها إسماعيل بن القاسم بان يلحق بأحمد بن الحسن ويقبض عليه، وطارده جيش بقيادة عبدالله بن القاسم.ووقعت معركة بين الجانبين في نقيل الشيم شمال شرق قعطبة، وهُزم أحمد بن الحسن وفر إلى عدن، والتجاء عند أميرها حسين بن عبدالقادر اليافعي.والذي أحسن إليه.وقد طلب الإمام المؤيد من أمير عدن أن يرسل له أحمد بن الحسن.ولكن لم يمتثل لطلبه هذا.بعد ذلك فترت العلاقة بين أحمد بن الحسن واليافعي، وقام أحمد بن الحسن بترك عدن والذهاب إلى بلاد يافع، وقد أكرموه وعززوه، وطلب منهم مهاجمة قعطبة، والتي كان يوجد فيها الأمير محمد بن أحمد بن الإمام الحسن، وقد هاجم أهل يافع قعطبة لكن لم يحصلوا على شيء، وقام الإمام بإرسال الهدايا والكسوات لهم ليأمن شرهم، ولم يعودون يعينون أحمد بن الحسن.(1)

الحيمي يذهب إلى يافع لإعادة أحمد بن الحسن

وفي العام التالي 1052 هجرية الموافق 1642م، ذهب إلى بلاد يافع القاضي شرف الدين حسين بن أحمد الحيمي، لإعادة أحمد بن الحسن من هناك إلى عمه، وقد عاد أحمد بن الحسن، ولما وصل إلى الإمام المؤيد ابتهج بمجيئه وزوجه إحدى بناته.(2)

---

(1) ابن الوزير، طبق الحلوى، ص 83-88

(2) المرجع السابق ص 88-89

وفاة الإمام المؤيد

وفي شهر رجب من عام 1054هجرية الموافق سبتمبر 1644م، توفى الإمام المؤيد محمد بن القاسم بن محمد في شهارة، وهذا الإمام تولى الإمامة بعد والده منذ عام 1029 هجرية الموافق 1620م.وخلفه أخيه إسماعيل بن القاسم والذي كان يقيم في ضوران آنس.وقد حصلت خلافات وإشكالات كثيرة بعد وفاة المؤيد، وقد كان ذلك تقليدا سارت عليه الأوضاع عند دولة الأئمة، حيث يقع صراع وأحيانا حروب دموية حتى يقوى إمام على البقية ويكون هو الإمام الفعلي.. (1)

غزو عدن

وفي شهر شوال من هذا العام 1054هجرية الموافق ديسمبر 1644م، غزا أحمد بن الحسن عدن ولحج والتي كان يحكمها الحسين بن عبدالقادر اليافعي، واستولى على ذخائره وممتلكاته وقد فر الأمير حسين إلى يافع، وحصلت معركة كبيرة وقاوم الأمير الحسين بن عبدالقادر اليافعي هو وأصحابه مقاومة شديدة، وراح الكثير من جنود أحمد بن الحسن، إلى درجة انه تم عمل مقبرة خاصة بجنود أحمد بن الحسن وسميت بإسمه.(2)

لم يأت هذا الغزو ارتجالا، بل أتى بعد أن عاش أحمد بن الحسن مدة في عدن، ورأى ما عند الحسين بن عبدالقادر اليافعي من ممتلكات وما لعدن من أهمية إستراتيجية، وما يمكن أن تدر من أموال لدولة الأئمة الناشئة، وقد عرف نقاط الضعف والقوة عند أمير عدن، وكيف يمكنه أن يستولي عليها، وبسبب توفر القوة لديه، ووفاة عمه المؤيد فقد وجدها فرصة لتقوية موقفه وتعزيز مكانته، وزيادة ثروته، ولكسب أموال ستعزز من سلطته، وهذا ماحصل بالفعل. بعد الاستيلاء على عدن وماحولها عام 1054هجرية الموافق 1645م، ومجئ إمام جديد هو المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم بن محمد، كانت الزيدية الهادوية في أوج قوتها، إذ أن هذا الإمام وعددا آخر من إخوانه كانوا ممن حارب العثمانيين، ثم أصبحوا قادة للدولة الجديدة بعد قيامها، وقد أراد الإمام الجديد توسيع ممتلكاته خاصة وان الزيدية الهادوية تعتبر جديدة على

---

(1)ابن الوزير مرجع سابق ص 98

(2)المرجع السباق ص 106-107

المنـاطق الـتي ينـوي غزوهـا.أما منـاطق اليمن الأسـفل فقد كـان مسـيطر عليها منذ ما بعد انسـحاب العثمـانيين منها ،وأضـيفت إليها عـدن بعد حـوالي تسع سـنوات، أي عـام 1054 هجرية.وكان هذا الإمام نفسه هو والي مناطق اليمن الأسفل، وتلك المنـاطق تعتبر من أخصب منـاطق اليمن من حيث إنتاجها الـزراعي وخراجها الكبير، وبالتـالي فقد كـانت السيطرة عليها مهمة ولا يُعَين وال عليها إلا من كان لـه نفوذ، وهذا الإمام هو أول إمام يبتدع فكرة جعل هذه المناطق مناطق خراجية في الزكاة، وقد كانت اليمن كلها مناطق عشرية قبل دولة الأئمة، منذ ما بعد ظهـور الإسـلام، ولكن هـذا الإمـام الجديد اجتهد أن تكـون منـاطق الشـوافع منـاطق خراجية، وعليهم أيضا دفع رسـوم أخـرى للدولة مثل ضـريبة الإمـام، وحق العسـكر، وغيرهـا.والخلاصة أنهم كـانوا مكلفين بـدفع مبـالغ باهظة لدولة الأئمة تفـوق بمـرات ماكـان يدفعه المواطنين الآخرين.ويمكن أن تسمى جزية.

رسالة إلى سلطان حضرموت عام 1057هجرية 1647م

وفي عـام 1057 هجرية أرسل الإمـام إسماعيل رسـالة إلى سلطان حضـرموت بـدر بن عمر الكثيري، يطلب منه الطاعة وإجابة دعوة الأئمة، وان تكون الخطبة للإمام بدلا من العثمانيين.

لابد من كلمة عن الأمـير أحمد بن الحسن والـذي ولد عـام 1029 هجرية الموافق 1620م وأمه جارية حبشية اسمها زهراء أهداها لوالده الوالي العثماني محمد باشا، حينما كان في السجن، واستأجر لها بيتا في بئر العَزب، وكان يسمح له الوالي بالذهاب للمبيت عندها والعودة إلى السجن، وكان الحسن قد اعتقل أيام الوالي العثماني جعفر باشا.(حسين عبدالله العمري، تاريخ اليمن الحديث ص 60)

لا يمكن لأي شخصية كانت أن تكون بعيدة، في تكوينها وطريقة تصرفها عن جذورها وظروف نشأتها، ومن هذه الشخصيات أحمد بن الحسن والذي أصبح إماما فيما بعد، إذ أن الشخصيات التي تكون هكذا، وهو من عائلة حاكمة يحـاول منذ صـغره إثبـات نفسه ويعمل كل مـافي وسـعه لتحقيق هـذا الهـدف، والمجـال أمامه مفتـوح، والإمكانيـات تكـون متـوفرة، وأحمد بن الحسن واحد من هـؤلاء حيث بـرز في المجـال الحـربي منذ صـغره، حين حـارب عمه المؤيد في آنس والشـيم بقعطبة، وكـان له تصـرفات عجيبة منها العنف والآراء الغريبة، مثل إجلاء اليهود من اليمن، وغيرها من التصرفات التي تنم عن شخصية تبحث عن نفسـها وتحـاول إثبـات وجودهـا. واعتقد أن الشخصـيات العسكرية لم تكن في يوما ما لوحـدها قـادرة على بنـاء الـدول بـدون رجال السياسة والعلم، والخبرات الأخرى.

وقد أجابه إلى ذلك..ولكن أهل الحل والعقد هنـاك قـاموا بخلـع بـدر بن عمر الكثيري، وتنصيب ابن أخيه بدر بن عبدالله سلطانا بدلا عنه وقد تم سجن بدر بن عمر.(1)

جدل فقهي حول أراء الإمام إسماعيل التكفيرية للشوافع

وفي عام 1058هجرية، الموافق 1648م حصل جدل فقهي بين الإمام إسماعيل وبعض علماء الدين ورجال الدولة،حيث سئله بعض أقاربه عن الضرائب الشهرية التي يفرضها على أهل اليمن الأسفل، وسبب أخذها وكان جوابه ((أن مذهب أهل العدل أن المجبرة والمشبهة كفار، وأن الكفار إذا استولوا على أرض ملكوها، ولو كانت من أراضي المسلمين، وأهل العدل وإن يدخل في حكمهم من والاهم واعتزى إليهم ولو كان معتقده يخالف معتقدهم، وأن البلد التي تظهر فيها كلمة الكفر، بغير جوار كفرية، ولو سكنها من لا يعتقد الكفر، ولا يقول بها أهله، ثم قال هذه الأصول معلومة عندنا بأدلتها القطعية، ومدونة في كتب أئمتنا، ولا ينكر ذلك عنهم أحد ممن له أدنى بصيرة، ومعرفة بمصنفاتهم كالأزهار وغيره، إلى أن قال:فإذا إستفتح الإمام (=غزا) شيئا من البلاد التي تحت أيديهم فله أن يضع عليها ما شاء (= يقصد ما شاء من ضرائب ورسوم) سواء كان أهلها ممن هو باق على ذلك المذهب أم لا.(2). الإمام إسماعيل هنا يكفر الشوافع صراحة، ويقول أن من حقه أن يفرض عليهم ما شاء من ضرائب، وممتلكاتهم تعتبر ملكا للإمام وله أن يأخذ منها ما يشاء ويترك لهم ما شاء..! وهذا يدلنا على كيفية استخدام الدين لكسب المال،بأي وسيلة.

أهل الشعيب بالضالع يرفضون دفع الجزية المفروضة عليهم 1063

في هذا العام رفض أهل الشعيب دفع الضرائب المفروضة عليهم من الأئمة،ولم يعطوا المعونة والتي يرد منها على رؤسائهم قسطا منها ...ويضيف الكاتب((أنهم تظاهروا باللهو وعدم توريث النساء ...فتقدم عليهم من قبل الإمام الأمير علي المحرابي من مدينة تعز لأن قعطبة تتبعها ...وقام الشخص المذكور بإخراب كثيرا من الدور ورجع أهل الشعيب إلى الطاعة ، وقد كانوا انخرطوا مع ابن شعفل ويافع))(3) يبدوا أن الضرائب التي كان يدفعها الناس هناك كثيرة وتحت مسميات كثيرة مثل المعونة وغيرها، وهذا ما دفعهم إلى عدم تسليمها.

---

(1) أبوطالب، طيب أهل الكساء ص 21

(2) ابن الوزير، مرجع سابق ص 121

(3) أبوطالب مرجع سابق ص 32-33

وتهم الأئمة معروفة أن الناس يعملون اللهو ولا يورثون النساء، وهذه مسوغات لتبرير الحملات العسكرية. أما ذكره للسلطان شعفل وأهل يافع، فيبدوا أن ابن شعفل لم يكن حينها تحت نفوذ الأئمة، وكان يقاومهم ما أستطاع إلى ذلك.

وفي عام 1064 هجرية الموافق 1654م وقعت أزمة اقتصادية كبيرة بسبب القحط وانعدمت الحبوب وغليت الأسعار (1)..أما إبن الوزير فيقول أنها وقعت في عام 1065هجرية خاصة في البلاد الصعدية.(2)

وفي هذا العام عقد الإمام عدة اجتماعات في صنعاء والروضة مع كبار رجال الدولة، وكان قد عمل مثل هذه الاجتماعات من قبل في كوكبان، والغرض منها هو مناقشة موضوع غزو جنوب وشرق اليمن ، وما يحتاجه من أموال ورجال وتجهيزات وتحالفات وسياسات الخ.وفيها تقرر غزو الجنوب والإعداد لذلك، وقد وضعت الخطط لذلك الغزو وماهو مطلوب لتحقيق هذا الغرض، وحددت المهام بشكل أولي..وقد عاد الإمام إلى ضوران بعد أن بقي بصنعاء 3 اشهر.(3)

يبدوا أن ماجرى في عدن عام 1054 هجرية الموافق 1645م، أغراء دولة الأئمة لاستكمال السيطرة على ما تبقى من أراضي في الجنوب.ولم تكن مسألة مساعدة صاحب حضرموت السلطان بدر بن عمر إلا ذريعة للغزو.والأئمة يريدون أن ينشرون مذهبهم ويكون لهم سمعة وتاريخ على مستوى اليمن، كيف لا وهم يعتبرون أنفسهم أفضل من ملوك اليمن، عرقا وعلما.

أهداف الأئمة من غزو جنوب وشرق اليمن

لكل حرب أو غزو أهداف قد تكون عسكرية أواقتصادية أوسياسية أودينية أو ثقافية..أو انتقامية..الخ أوبعضا من ذلك،أو كله، وقد كان للأئمة مثل غيرهم أهدافا وغايات من غزوهم للجنوب.وهذا شأن كل دولة في التاريخ البشري، أن يكون لها أهداف من أية حروب تخوضها. وفي الفقرات الآتية سنجتهد في تحديد الأسباب التي جعلت الأئمة يغزون جنوب وشرق اليمن.

---

(1) ابوطالب، مرجع سابق ص 34

(2) ابن الوزير، مرجع سابق ص 136

(3) أبو طالب، مرجع سابق ص 37

1.الأسباب السياسية والتاريخية والإستراتيجية.

الأسباب السياسية هي توحيد إرادة الزيود الهادويين وعلى رأسهم الأئمة ضد خصم تاريخي وديني واحد وهم الشوافع، وتفريغ طاقة المقاتلين منهم، ضد منافس كان يحكمهم يوما ما أيام الأيوبيين والرسوليين والطاهريين،والحرب ضد الجنوب تؤجل المنافسات والمنازعات الداخلية،بين الأئمة وأقربائهم ومنافسيهم، وتوجه طاقة الناس ضد عدو بعيد. وحكم تلك المناطق يحقق مجدا تاريخيا وسياسيا للزيدية الهادوية، وأنها ليست جماعة متقوقعة في أعالي الجبال.ويعطيهم هدفاً ورسالة لحكمهم،ويصبح قتالهم جهاد في سبيل الله والوطن والإمام..!ومن ناحية إستراتيجية فهم لايريدون عودة الحكم العثماني إلى اليمن عن طريق جنوب اليمن، لذا فلاستيلاء عليه يمنع ذلك.وغزوهم لهذه المناطق هو توسع مماثلا لما كان يقوم به حكام المناطق السنية في السابق. وهو طبيعي للدول حين نشوئها وقيامها.فهي تتوسع لأنها تكون قوية وعند أتباعها استعدادا للتضحية، وبعد ذلك يدب فيها الضعف والهرم حتى تسقط.

2. الأسباب الاقتصادية:

ضم هذه المناطق إلى ممتلكات الأئمة، سيزيد من الدخل الذي يأتي إلى خزانة الدولة حيث والأئمة فرضوا الجزية، وضرائب أخرى إضافية على الشوافع،وحولوا مناطق الشوافع إلى مناطق خراجية مفتوحة،واليمن كانت مناطق عشرية منذ دخول الإسلام إليها، والسبب أنهم أسلموا طواعية وليس بالفتح،ومعنى ذلك الحصول على أموال هائلة، لأدراه الدولة والإنفاق على توسعها ومتطلباتها.وقد ذكرنا سابقا أن الإمام إسماعيل كان يأخذ الضرائب بشكل شهري من سكان اليمن الأسفل، مما يدلنا على ضخامة حجمها.بسبب حاجة الدولة لها، وبسبب أن الناس غير قادرين على دفعها كلها آخر العام لأنها ستتراكم عليهم . ..!.ومعروف أن الزكاة تأخذ آخر العام ولمرة واحدة،وكان هذا موجودا بالمناطق الزيدية الهادوية فقط.وقد كان يقول الإمام إسماعيل أنه ليس للناس في هذه المناطق إلا ما تركه الإمام لهم تفضلا،وأن الله قد يعاقبه على ما ترك لهم...! (ص36 من هذا الكتاب) وأنا أقدر أن حجم الضرائب التي فرضها الإمام إسماعيل قد تكون في حدود 15-20% من دخل الناس أو ربما أكثر.وهذه ضرائب باهظة جدا بمقاييس ذلك الوقت...بلإضافة إلى الضرائب الأخرى مثل ضيفة العيدين، وسفرة الوالي،وحق الرصاص،والسياق، وحق الصلاة..وغيرها الخ (أنظر ص 75 من هذا الكتاب)

وهذه الضرائب برغم نفعها للدولة حينها، إلا أنها كانت سببا في انهيارها فيما بعد بعد حوالي عقدين من توسعها.لأن الظلم مؤذن بخراب العمران كما يقول العلامة إبن خلدون.

3.الأسباب الدينية :

غزو هذه المناطق قد يضيف زيودا هادويين إضافيين إلى سكان المناطق الزيدية،في حالة اعتناقهم له،وإذ لم يعتنقوه فعليهم دفع الجزية،وقدا استخدم الأئمة 3 أساليب لهذا الغرض وهي كالأتي:

1. الغزو العسكري المباشر وحكم تلك المناطق عن طريق عمال معينين من قبلهم.

2.فرض المذهب الزيدي على الناس هناك بالقوة، وذلك عن طريق إجبارهم على قول ((حي على خير العمل)) في الأذان وهذا هو ابتداع وهو من اختراع أئمة الزيدية الهادوية، وهو لأجل أن يميزوا أنفسهم به. ثانيا استخدام المذهب الزيدي في التقاضي، وفرض أئمة ودعاة من طرف الإمام ليؤموا الناس في الصلوات الخمس وحسب ذلك المذهب.

3.استعمل إسلوب آخر لرد الناس عن مذهبهم،آلا وهو استخدام الجزية وضرائب خص بها الشوافع دون الزيود، وذلك بغرض إذلالهم حتى يرتدوا عن دينهم، ويعتنقون الدين الزيدي الهادوي.

وهذا الأسلوب قد نجح في بعض المناطق، منها الحداء حين ارتدوا عن مذهب الشافعي واعتنقوا مذهب الزيدية، عام 1046 هجرية الموافق 1637م، وأيضا في المناطق المحاذية للمناطق الزيدية، مثل شمال وغرب رداع، ويريم، وخبان وبلاد إريان، وآنس،وعنس، وغيرها.وقد ترك أهل تلك المناطق مذهبهم الشافعي، حتى لا يدفعون جزية، ولأجل أن يستفيدون من الفرص التي جلبتها الدولة الجديدة، وليكونون قادة وعساكر وعمالا معها.

بداية الغزو

كان الإمام قد عقد عدة اجتماعات في كوكبان وصنعاء والروضة عام 1064هجرية الموافق 1654م حول موضوع الغزو، وصاحب طيب أهل الكساء يقول إن محمد وأحمد بن الحسن ذهبا إلى ضوران، وأتبعهما الناس وبقيا مدة لدى الإمام.وهو يذكر أن الإمام ضلى يسير ويأتي من الحصين قرية بحصن الدامغ بضوران إلى معبر، والغرض هو التجهيز للحرب، ويقول إن العيد مضى بسرعة يقصد عيد الأضحى، وان ذلك حصل في عام 1065هجرية، وهذا خطاء إذ التجهيز حصل في العام الذي سبق، والعيد كما هو معروف يأتي آخر العام الهجري وليس أوله.وقد ذهبا محمد وأحمد بن الحسن إلى ذمار واستدعاء الجند من كل

مكـــان، من حاشد وبكيل وغيرها واجتمع أنـــاس كثـــير، كـــذلك اجتمعت من الخيـــول العـــدد الكثير.وكـان محـاط هذه العسـاكر معبر وهي قرية على الطريق الأتي من صنعاء إلى ذمـار، وهي شرق ضوران .

وذكر أن محمد بن الحسن وأحمد بن القاسم طلبا من الإمـام التـأخير في غـزو جنـوب وشـرق اليمن، وانه يجب أولا إرسـال الرسل والكتب إليهم ، لعلهم يقبلـون بالـدخول في طاعة الدولة الإماميـة، حيث أن الحـرب تكلف أمـوالا ورجـالا وان تم السـيطرة عليه سـيكون من الصـعب البقـاء فيـه، وأن تكلفة السيطرة عليه وحكمه ستكون أكثر مما سيأتي من أرضه من خـراج، لكن لم يقبل الإمـام ولا إبن أخيه أحمد بن الحسن بهـذه الفكـرة وأصروا على الغزو، وقد طلب أن تكـون القيـادة للغـزو تحت إدارته هو وأخيه محمد وطلبا من الإمـام أن يـأمر العمـال في اليمن، أن يرسـلوا الطعـام والعلف للخيـول والجمـال والحمـير إلى رداع، وتكـاثرت المحـاط في رداع العرش حتى وصل حسيك اليوم الواحد للخيول والدواب إلى 25 زبديا صنعانيا وهو يـدل على كثرة الدواب.(1)

الإمام رفض أن يتم مراسلة أبنـاء جنـوب وشرق اليمن قبل الغزو بـالطرق الدبلوماسية، حتى يدخلوا في طاعة (حكم) دولة الأئمة، ربما أنه كان يعرف أن أبناء الجنوب لن يقبلـون بذلك،أو أنه أراد أن يـدخل الجنـوب والشـرق دخـول الفـاتحين.حـتى يتسـنى له حكمه مباشـرة بـدون منافس،أو مشاركة مع السلاطين في العائدات والسلطة.وهذان القائدان عرفا أن غزو الجنـوب وحكمه يكلف أكـثر مما سـيجلب من عائد بعد غـزوه.لأن المـؤرخ هنا يكتب بعد الغـزو ب 40 عاما تقريبا وأكثر،والجنوب لم يعد تحت سيطرة دولة الأئمة.

وهـذه من المشـاكل الـتي تعـاني من الـدول والجماعـات،أنهم لا يقَـدرون ما يقـدمون عليه أو يفعلوه إلا بعد فوات الأوان.وقد تحرك محمد وأحمد بن الحسن من ذمـار باتجـاه رداع، في يـوم السبت الثـاني من شـهر ربيع الأول عـام 1065هجرية الموافق 9 ينـاير 1655م. مع جيوش كبـيرة ملئت السـهل والوهـاد.ومعـنى ذلك أنهما بقيا في ذمـار حـتى تكـاملت الجيـوش، لمـدة شـهرين أي محـرم وصـفر وجـزاء من العـام الـذي سـبقه.وقد بقي محمد بن الحسن في رداع بينما واصل أحمد بن الحسن مسيره باتجاه الجنوب، وكان قائد الجيش الإمامي.(2)

---

(1) ابوطالب، مرجع سابق ص 38

(2) المرجع السابق ص 38-39

حـتى وصل إلى الزهـراء (شـرق السـوادية)،ثم إلى البيضـاء وملئ بالأجنـاد من سـاحتها الفضاء)) (1) كما يقول المؤرخ حيث يذكر أن أحمد بن الحسن وصل إلى البيضاء، وكأنما تلك الأماكن لم يكن فيها أحد ولا أحد قاومهم ونحن نشك في ذلك، ربما انه وصل إلى شرق رداع على الحدود مع بلاد الرصاص.وبقي هناك.

إرسال قوات إلى قعطبة لتأمينها من الأمير شعفل

أرسل محمد بن الحسن ابنه يحي قائدا ل 2000 عسكريا إلى قعطبة لتأمينها من الأمير أحمد بن شـعفل، ولتـأمين الجبهة الغربية من أية تهديـدات، وكـان معه عامل زبيد محمد بن ناصر المحبشـي، والقاضي صالح بن محمد بن أبو الرجال، والشيخ احمد بن عامر الجماعي شيخ نجد ايب، والشيخ داود بن شمسـان، والمشائخ بنـوا الحيقي وغيرهم.(2) كـان أمـير الضـالع يقوم بين الفينة والأخرى بمهاجمة قوات الأئمـة، ويبـدوا أنهم لم يكونـون مسيطرين سيطرة تامة إلا على عدن ولحج ، وربما أماكن قليلة أخرى حينها بجنوب اليمن.

رتبة في جُبَن

وأيضا تم إرسـال قوات إلى جُبن بقيـادة القاضي أحمد بن حسن المخلافي، مع جـوهر كاشـف. (الأخير على ما يبدوا اسم عبد من عبيد الإمام)وقد بقي العماد يحي بن محمد بن الحسن هنـاك في جبن حـتى انهـزم الشـيخ الرصـاص.ويبـدوا أن تلك المنـاطق أولا لم تكن تحت سـيطرة الأئمة،وثانيا أنهم كانوا يقومون بعمليات ضد قوات الإمامة والطرق لم تكن آمنة.(3)

الإمام يرسل مزيدا من القوات

وقد أرسل الإمـام إسـماعيل مزيـدا من الجيـوش، وهم من رجـال القبائل وليس جيشا نظاميـا، وكلهم زيـودا هـادويين تقريبا من أهل حاشد وبكيـل، وقد كـانوا من الكـثرة الكـاثرة، أما أمـير كوكبان فقد أرسل 500 رجل بقيادة زوج ابنته يحي بن أحمد، وعنـدما اكتمل مجيء الجمـوع، تـوجهت هذه الحشـود إلى رداع وكـان أولهم الحسـين بن الحسـن، ومعه الفقيه محمد بن علي جميل، وتبعه محمد أحمد بن القاسم بحاشد وبكيل وهم نحو ألف وخمس مائة.(4)

---

(1) أبوطالب، مرجع سابق ص 39
(2) المرجع السابق نفس الصفحة
(3) المرجع السباق نفس الصفحة
(4) المرجع السابق ص 40

الرصاص يقاتل في جبهتين

كانت المواجهة الأولى في ذي كرش(وهي بالقرب من البيضاء من ناحية الشرق) حيث أرسل الرصاص أخيه مع ألفين شخص لمواجهة جيش الإمام، ولكن بسبب استعداد جيش الإمام فقد تمكنوا من صدهم، وقتل من أصحاب الإمام 4 أنفار، وقتل من أصحاب الرصاص حامل رايتهم وآخـــرين.وقد أمد أحمد بن الحسن من كـــانوا بـــالقرب من كـــرش بقـــوات إضـــافية من الطاهرية،وهي شـــرق الســـوادية على مســـافة 8 كم تقريبا.وقد خيم أحمد بن الحسن في الزهـراء، وهي تجـاور قرية الطاهرية المـذكورة سـابقا، وهـذا المكـان فسـيح وواسـع وقد استخدمه من قبل الوالي العثماني سنان باشا.ولتوفر العلف للدواب فيه.(1)

وقد قـدمت القـوات والعسـاكر والمـدد من رداع باتجـاه البيضـاء، وطلب أحمد بن الحسن من السـلطان حسـين بن أحمد علي الرصـاص قبـول دولـة الأئمـة، وإبقائه على سـلطانه.وقد أرسل إليه بعض المشـائخ وهم شـيخ قيفة العليا زين بن مصـعب، والشـيخ زاهر الهمـداني، وشـرف الدين بن مطهر والي رداع، للتوسط ولكنه رفض ذلك.(2)

غزو البيضاء والمعركة مع السلطان الرصاص

وتقدم أحمد بن الحسن من الزهراء إلى قاع الزجـاج، بـالقرب من قرية الطفـة، في يوم الاثنين ثـاني شـهر ربيع الآخر 1065 هجريـة،الموافق 8 فـبراير 1655م، وكـان المحط في قـاع الرماة حيث يوجد فيه ماء، والطريق التي تنفذ إلى نجد السلف لا يوجد فيها المـاء.والرصـاص كان يوجد بنجد السـلف حيث سوره وحمـاه، وسد الفتحـات الآتية إليـه، وقد رتبت قوات الإمـام فكـان محمد بن الحســين جناحا ايمنـــا، ومحمد بن أحمد بن القاسم جناحا أيســـرا، وأحمد بن الحسن في الوسـط. أما السـلطان الرصـاص فكـان معه في الوسط أصـحابه أهل علي وهم من المقاتلين ألأشدا.) 3)

وقد بداءت المعارك في 5 من شـهر ربيع الآخر من عام 1065 هجرية، الموافق 11 فبراير 1655م. ووقعت المعركة في نجد السـلف بـالقرب من الطفـة، وكـان فيها الشـيخ حسـين بن أحمد بن علي الرصاص وعدد جنود الإمام كان 40000 ألفا.

---

(1) ابوطالب، ص 41

(2) المرجع السابق، ص 42

(3) المرجع السابق نفس الصفحة

وعدد جنود الشيخ الرصاص ومنصر العولقي غير مذكور ولكنهم سيكونون بضعة ألاف (1) وقد قاتل أهل البيضاء وأصحاب الرصاص ببسالة وثبت السلطان ثبات الأسود، وقتل بثلاث طلقات، وتم جز رأس السلطان الرصاص، واحضر إلى أحمد بن الحسن، وقد تعرف عليه أحد الأسرى من أصحابه، والذي أحضر الرأس شخص اسمه داود وقال من كان حاضرا كنوع من السخرية أن داود أتى برأس جالوت..!(2)



هذه الصورة لقاع الضفرين شمال غرب نجد السلف، وكان يسمى في الماضي قاع الرماة، كما ذكر لي أهل تلك المنطقة، عند زيارتها في شهر أغسطس 2006 (2)

---

(1) أبوطالب مرجع سابق، ص 42

(2) نسبة إلى النبي داود وجالوت الذي قتله بالمقلاع والقصة فيها فرق شاسع ولكنه الهياج الطائفي

(3) حسين الهدار هامش هداية الأخيار ص 80 ويسمي المكان الآن شعب الدقيق وهو أسفل جبل ذي ناعم وهذا ما قاله الشيخ للمؤلف أثناء زيارته للبيضاء في يونيو من عام 2006.لقد قال لي الشيخ الهدار أن جيش الرصاص كان يقدر ب 30 ألف ولكنني لم أخذ بهذا الرأي أو الفكرة والسبب أنه لم يذكر من قبل مؤرخي الأئمة،ولو كان مثل هذا الخبر صحيحا لذكروه،وقد كانوا مولعين بذكر أخبار خصومهم، والثاني ضخامة العدد أذ لو وجد هذا العدد كله لكان عدد الضحايا أكثر من جانب قوات الإمام، وأهل البيضاء .بالنسبة ليوم الربوع أو الأربعاء وتشاؤمهم منه. المعركة هنا وقعت يوم الخميس ولا ندري هل الحساب كان صحيحا، أو أن المؤرخين فيما بعد كانوا يحسبون الأيام ويحددونه على أساس التقويم، ومن ثم يسقط يوم زائد أو ناقص.قد تكون هذه المعركة هي من جعلت أهل البيضاء يتشاءمون من ذلك اليوم، أو قد تكون معركة وقعت قبل أو بعد هذا التاريخ.أو أيام دولة الإمام يحي.

وطلب منهم أحمد بن الحسن، التوقف عن ملاحقة أصحاب الرصاص، و أتى أصحاب أحمد بن الحسن برؤوس عددا من القتلى وبالأسرى، ودفن أصحاب الإمام هناك، وكان عدد القتلى من أصحاب الإمام 50 قتيلا من خيار العسكر، منهم أبو راوية من ظليمة، وأصيب الفقيه محمد بن علي جميل، وقتل عددا من أصحاب ابن خليل صاحب همدان، وأصيب منهم نحو العشرين، (1). أما القتلى من أصحاب الرصاص فكانوا مائتين حسب المصادر الإمامية وممن قتل في الحرب من الناس المعروفين علي بن مزاحم الجرهمي، وأبوبكر بن ناصر وقد حضر الحرب مع أصحاب الرصاص بعض النساء وتعرضن للأسر، وكان يوجد بعض الجواري، وتم الإفراج عن الحرائر اليوم الثاني، أما الجواري فقد أعطيت كل واحدة لأول واحد وجدها.(2)

وقد شارك في المعارك مع السلطان الرصاص كل أهل البيضاء، منهم أصحابه آل علي، وبنو أرض، وبنو غيلان كان منهم نحو أربع مائة رجل، وأصحاب ناصر الدرع، وأصحاب غراب نحو 600 مائة رجل، والمساغبة، وأهل المظفر، والظفير، والحصين، وآل هشام، وآل سعادة، وأهل هصيص وكان شيخهم ناصر بن معوضة، وآل عمر منهم الملاجم، والعوالقة، والهياثم، وقد فر بعض منهم بعد بداء الحرب، والسبب ضخامة جيوش الأئمة، وتفوقها بالسلاح والعتاد..(3)

كان مؤرخي دولة الأئمة مثلهم مثل من سبقهم من مؤرخي الدول يملى عليهم مايكتبونه عن التاريخ إملاء، عن طريق كتاب الدولة والذين كانوا يرافقون الحملات العسكرية، وعادة ما يتم تقليل خسائر الدولة،والمبالغة في خسائر خصومهم، والمؤرخ هنا يذكر أن قتلى أهل البيضاء يزيدون عن المأتين، وخسائر دولة الإمام 50 ،ومعروف من ناحية عسكرية أن المهاجم عادة ما يخسر عددا أكثر من الرجال من المدافع..وأعتقد أن خسائر دولة الأئمة تقدر بالمئات من القتلى وربما الألوف من الجرحى.وقد ذكر المؤرخون نفس الأرقام في معارك أخرى حيث يقومون بتقليل عدد خسائرهم في الأرواح بطريقة مكشوفة وأحيانا أخرى لا يذكرونها أصلا.وسنرى في معارك أخرى أنهم يذكرون عدد القتلى الذين سقطوا من جيشهم ربع عدد القتلى من مِن خصومهم..!! وفي حرب العصابات عادة ما يكون الضحايا من الجيش أكثر والسبب كثرة أعدادهم، وقلة عدد الثوار.

---

(1)أبو طالب، مرجع سابق ص 43

(2)المرجع السابق، ص 44

)3) المرجع السابق ، نفس الصفحة



هذه الصورة لأسفل نجد السلف، تصوير المؤلف أغسطس 2006

وقد بعث برأس السلطان إلى أخيه في رداع، ومن هناك بعث برأسه إلى ضوران، ووصل بعد 3 أيام في يوم الاثنين 9ربيع الآخر.حتى يصدق الناس أنه قتل، بسبب عظم المذكور في قلوب الناس، وقد مثل برأسه في ضوران، وعلق في مكان عام ليراه الناس، وبعد أيام دفن رأسه، وكان السلطان الرصاص صبوح الوجه، وله شعر منثور غير محلوق وكان منتعما، ويزعم المؤلف أن الرصاص((كان خال من التكاليف الدينية والدنيوية للجهل الذي ليس له فيه ضريب يظن أن لا تكليف عليه، ولا خطاب واجب يتوجه إليه، إنما غاية اشتغاله بالملاهي ولا أمر عليه ولا ناهي))(1) هذه من الدعايات والتهم التي كان يستخدمها الأئمة ضد خصومهم، حتى يصورونهم على أنهم أناس لا يحترمون الدين ولا يلتزمون به، ومعروف آن مشائخ القبائل كانوا في الغالب، من الناس الذين هم ملتزمون بالدين والأخلاق. ومما يدلنا على التزام الشيخ الرصاص بالدين، طلبه من الحبيب احمد بن سالم أن يفتيه في أمره هل يقاتل الإمام أم لا..؟؟

---

(1) أبو طالب مرجع سابق ص 46

وقد أجابه الحبيب بأحقيته في الدفاع عن نفسه وأهله وبلاده.وقد كان يستخدم الراية التي أعطاهم إياها الحبيب.وكان من أول القتلى في منطقة كرش حامل الراية.

وبعد انجلاء المعركة وهزيمة الرصاص وأصحابه، أقام أحمد بن الحسن مع عساكره والذين يقدرون ب 40000 ألفا، في الصلالة 5 أيام، وصرف للجنود مكافأة (1)

وبعد ذلك تحركت بعض من الجيوش الإمامية نحو مدينة البيضاء، وبقيت هناك مع قائدهم أحمد بن الحسن، وأتى إلى هناك بعض مشائخ تلك الجهات معلنين الطاعة لدولة الأئمة، وهم منصر بن صالح العولقي، وهو شيخ العوالق السفلى، والسلطان سالم بن حيدرة الفضلي، وكان يدَعي الموالاة منذ عام 1055 هجرية لدولة الأئمة، وكانت له عطايا تجري منذ ذلك الحين، وأتى السلطان صالح عبدالواحد الواحدي، والشيخ عبدالرحمن بن عبدالله العمودي، شيخ وادي دوعن بحضرموت.وقد طلب منهم أحمد بن الحسن الأيمان الغليظة بالولاء للدولة الإمامية، وأخذ من هؤلاء المشائخ أولادهم لينوبوا عنهم بمقابلة الإمام، وذهبوا إلى هناك وقررهم على بلادهم، وعادوا من هناك إليها.(2)أما الشيخ صالح الرصاص والذي خلف السلطان حسين الرصاص، فقد ذهب إلى بيحان للاستجارة بشريفها، لكنه لم يجره خوفا من الإمام.وهذا يدل على أن بيحان لم تكن تحت سيطرة الأئمة ربما بسبب أن حاكمها من آل البيت،أو بسبب عدم أهميتها الإستراتيجية أو الاقتصادية للأئمة،أو غير ذلك من الأسباب.وعدم قبول شريفها لجوء الشيخ الرصاص معناه الخوف من غضب الإمام، والذي قد يؤدي به لغزو بلاد بيحان، وبالتالي سقوط الإمارة، ومعروف أن دولة الأئمة في ذلك الوقت كانت في أوج قوتها.وهذه الحادثة تدلنا على الصدمة التي وقعت للناس من دولة الأئمة .

وقد عاد الشيخ الرصاص إلى البيضاء، وأمنه احمد بن الحسن على نفسه، وأهله وأعطاه من العطايا الكثير، وأذن له بالعودة إلى بلاده.(3)

ويقول مؤرخ الزيدية أبوطالب بلفظه ((جاء إلى مقام مولانا الحسين وصفق ببيعته على اليدين فجادله مولانا الصفي بالأمان، وخوله الإحسان، وأذاقه حلاوة العفو وأبان له بعد الكدر عن الصفو، ولما أحب الرجوع إلى بلاده أعطاه العطاء الجزيل وأجراه على معتاده وأوقر له الجمال من العطايا، وجعله علما بين البرايا، ولم يشترط عليه غير الطاعة))

---

(1) المرجع السابق نفس المرجع والصفحة

(2) المرجع السابق، ص 47

(3) أبو طالب، مرجع سابق ص 48

ما يهمنا هنا هو التعليق على كلامه حين قال وجعله علما بين البرايا(=الناس) الشيخ هذا معروف من قبل وجود دولة الأئمة، وقد كانوا يحكمون منطقتهم جيلا بعد جيل وهم معروفون، و لكن الأئمة هنا يريدون ان يقولوا أن الشيخ الرصاص لم يكن معروفا، وان ما قدمه ألائمة من عطايا،هو الذي جعلهم يُعْرَفَون بين الناس.

غزو بلاد يافع

كان لابد من غزو يافع بعد ان تم للإمام السيطرة على البيضاء، ومما يذكر أن أهل يافع لم يصلوا إلى البيضاء بوفودهم مثلما عمل من هم خلفهم وأبعد منهم مثل العولقي، والواحدي، والعمودي،والفضلي، وغيرهم، ولكنهم ضلوا يستعدون للمعركة، ويعدون العدة لها.
وقد كان أهل يافع حكماء في تقديرهم للموقف العسكري،وأردوا أن تأتي جيوش الأئمة إلى منطقة يافع الوعرة، ومن ثم يقومون بحرب عصابات ضدهم، وحرب وجه لوجه في بعض الأحيان، وهذا من عبقرية أهل يافع وخبرتهم، وقد كانوا يجيدون فن المقاومة، إذ كانوا ينحنون أمام العاصفة، حتى تمر بدون ما يتركوها تجرف أقدامهم أو تحلحلهم من أماكنهم.وعدم مجيئهم إلى البيضاء لإعلان الطاعة هو عدم اعترافهم بدولة الأئمة واستعدادهم لمواجهتها، ولو ذهب أهل يافع وحاربوا جيش الإمام في نجد السلف أو البيضاء، لهزموا من قبل جيش الإمام، والسبب حسن تنظيم جيش الإمام ،وضخامة أعدادهم وتفوقهم بالسلاح والمدفعية والتي لم تكن موجودة تماما لدى القبائل.زائد ارتفاع معنوياتهم.

وقد عمل أهل يافع المتاريس والحراسات في جبل العر وتلك الجهات، وكان بعض من جنود الإمام متواجدين بالخَلَقَةَ، وهي بالحد من يافع العليا، وربما أنهم أتوا إليها عن طريق بني ضبيان ألأملوك، وكان من قادتهم شرف الدين لقيادة بني الحارث، وابن خليل لقيادة همدان، ولم يؤذن لهم بالقتال حتى تأتي باقي التعزيزات.ويقول المؤرخ أنه اجتمع من أهل يافع ما يقارب 30ألفا وأنا اعتقد ان هذا الرقم مبالغ فيه، أهل يافع يستطيعون حشد هذا العدد، ولكنهم يحتاجون إلى أراض شاسعة لانتشارهم..وقد بقيت جيوش الإمام في الخَلَقَة من يوم الخميس 8 جمادي الآخرة تاريخ خروجهم من البيضاء إلى يوم السبت 19 من نفس الشهر.(1)

---

(1) المرجع السابق، ص 48



أثـار قلعة من أيـام حكم الأئمة في قرية الخَلَقَة شـمال يـافع، وتحت إلى اليسـار بقايا مسـجد، ويقـول الأهـالي حسب ما يـروى لهم أنها وقعت معركة بين عسـكر الأئمة وأهل يـافع داخل المسجد بالسلاح الأبيض في يوم عيد الأضحى ولا يعرف سنة المعركة،ولكنه ما بين 1066-1092هـ وقتل كل من كـان بداخله من عسـكر الأئمـة، وبعض المهـاجمين، وهـذا يـدلنا على ضراوة المعارك وشدة الكراهية بين الجانبين.تصوير المؤلف أغسطس 2006

الحبيب سالم بن أحمد ولي عينات

ويقول مؤرخ دولة الأئمة أبو طـالب أن أحمد بن الحسن، علم ان الحبيب سـالم بن أحمد ولي عينات عندما علم بغزو الأئمة ليافع أراد الخروج إلى هنـاك والاشتراك معهم في حرب دولة الأئمة ((وبلغ مولانا الصفي أحمد أن حبيبهم سـالم بن أحمد قصد الخروج من عينـات(عينات بلدة من حضرموت بالقرب من تريم) وطنه إلى يافع

لحفظ نفسه وممـدا لهم (يقصد أهل يـافع) والتحـريض لهم على قتـال الدولة بما لهم فيه من المعتقــد، وخشي مولانا الصــفي انه إذا وصل إليهم شد من آزرهم، ومد بحر غيه لحــربهم))وقد أرسل أحمد بن الحسن ابن عمه محمد أحمد بن القاسم مع خمس مائة من الجنـد، وذلك

لاعتقـال الحـبيب قبل الوصـول إلى يـافع، وقد ذهب محمد إلى دثينة وأقـام أياما في انتظـار الحـبيب سـالم بن أحمـد، وقد فتشـوا وبحثـوا عنه وترصـدوا له بـالطرق ولم يجـدوه، ونفـدت المـؤن واشـتد بعسـكر الإمـام الظمـاء والحـر، وطلبـوا من قائـدهم محمد أحمد بن القاسم وهو بدثينة في البقاء أو الرجوع، وأشار عليهم بالعودة إليه.(1)

هنا يظهر دور رجـال الـدين والصـوفية، في مقاومة غـزو دولة الأئمة لجنـوب اليمن وشرقه.وأنهم اشـتركوا في قتالهـا،وسـالم بن أحمد كـان يعتـبر زعيم يـافع الـروحي ، قبل هذا التـاريخ بـوقت طويل منذ أيام أجداده، وكـان يدفع له أهل يـافع بعضا من الزكـاة والبـاقي كـانوا ينفقونها على الفقراء وعسكر السـلاطين .وقد ذكرنا في ص 42 عن مقتل حامل الراية الـتي كان يحملها أحد جنود الرصاص في معركة ذي كرش، وأن هذه الراية هي راية الحـبيب سـالم بن أحمد.

بداء المعارك في الخَلَقَة بالحد يافع في يوم الاثنين20 من جمادي الآخرة 1065 هجرية,الموافق 26 أبريل 1655

بعد تجهيز وانتظـار لمـدة شـهرين ونصف، من بعد معركة نجد السـلف بين الرصـاص وقـوات الإمام، كان لابد للمعركة من ان تقوم بين قوات الإمـام وأهل يـافع، وقد بـدأت المعـارك في جبل العُرْ وهو أول جبل من جبـال يـافع، من نـاحية الشـمال الشـرقي، وقد ارتفع أهل يـافع من أسـفل الجبل إلى أعلاه ثم نـزل بعض منهم إلى قـرى مرفد والـتي تقع تحتـه. وكـان مع أهل يـافع اجتماع مع الحبيب علي بن سالم، وكادت الجيوش الإمامية أن تُهزم يـوم الثلاثـاء 21 جمـادي الآخرة لولا وصول أحمد بن الحسن من البيضاء بجيش وارتقائه إلى راس جبل العُرْ.(2)

لقد كـان مجيء أحمد بن الحسن مع جيش كبـير من البيضـاء ، عامل حاسم في كسب المعركة في جبل العُـرْ وما حولـه.وجيـوش الإمـام كـانت مندفعة لتحقيق النصـر، وكـانت معنويـاتهم عالية،على أسـاس أنهم يجاهدون في سبيل الله..! وأن قتـال أهل يافع واجب وضروري.وهذا طبيعي في بداية صعود الدول،بالنسبة للحبيب سـالم بن أحمد لم يـأت لكنه أتى ولـده علي، ولم يتمكن محمد بن أحمد بن القاسم من إلقاء القبض عليه.وقد حضر وشارك معهم بالقتال.

---

(1) أبو طالب، المرجع السابق ص 49

(2) المرجع السابق، ص 50

وقد واصلت جيوش الإمام في ذلك اليوم الثلاثاء زحفها باتجاه مَرْفَدْ، ولم يكن أمام أهل يافع إلا الانسحاب في وجه اندفاع جيوش الإمام،ويقول المؤرخ أنه قتل من يافع 7 أشخاص ولا يذكر قتلى جيش الإمام.. وقد بات أحمد بن الحسن، وأخيه الحسين، وولده محمد، في مرفد، وأرسل محمد بن الحسين قائد جيوش الإمام، رسولا إلى محمد أحمد بن القاسم في دثينة، يطلب منه العودة إلى يافع، ورجع ووصل في 23 من جمادي الآخرة 1065هجرية.وبعد هذه المعركة طلب بعض من أهل يافع بالأمان، وأتت وفود من مشائخ قبائل الظُبِي، والمُفْلحي، والمَوْسطة، والحضارم، وآل داود، ومشائخ الخلقة، وأهل كَلَد، وأهل ذي نَاخِبْ.وأهل الخلقة هم الذين سكن عندهم أحمد بن الحسن عندما هرب إليهم من عمه الإمام المؤيد عام 1051 هجرية. وقد أخذ أحمد بن حسن منهم أشد الأيمان بالطاعة لدولة الإمام، وأيضا أتى الشيخ عبدالله بن علي هرهرة وطلب الأمان وأمنه أحمد بن الحسن.(1)

وقد أعاد أحمد بن الحسن الشيخ سالم بن عبدالله شيخا على البيضاء، بعد أن عزله السلطان الرصاص عام 1051 هجرية، وذلك بسبب دعمه لأحمد بن الحسن، أثناء إقامته في يافع عندما كان هاربا من عمه الإمام المؤيد، ويقول المؤلف أن ذلك بسبب أنهم يبغضون آل البيت، وكراهة دولة الزيدية(2) وتعلقينا على ذلك أن أهل اليمن كما نعلم كلهم زيودهم وشوافعهم يحترمون آل البيت، وقد ذكرنا أن الحبيب علي بن سالم أتى من حضرموت، للوقوف بجانبهم ضد دولة الأئمة، والحبيب من أهل البيت، ويوجد الكثير منهم في البيضاء ويافع، ولهم مكانتهم هناك.أما كراهيتهم للزيدية فهذا بسبب ظلمها وتعصبها، وأعمالهم التي قاموا بها في المناطق التي غزوها تدل عليهم.وقد امتدح أحد الشعراء أحمد بن الحسن بهذه القصيدة (3)ومطلعها يقول

الملك بالنصر والتوفيق منتظم=====والدهر بثغر العدل مبتسم
وطالع السعد مازالت مطالعه======في الأفق مشرقة وانجابت الظلم
والحق يعلوا ولا يعلى وعصبته=====منصورة ومزيد البغي منهزم
أما ترى كيف كان الأمر عاقبة =====للمتقين وعقبى الأشقياء الندم
وكيف حاق بأهل البغي مكرهم====== وشردوا بالنواحي بعدما انهزموا

(1) أبوطالب، مرجع سابق، ص 51
(2) المرجع السابق، ص 52
(3) المرجع السابق، ص 52-53

وقد طلب أحمد بن الحسن، بعض من شيوخ يافع أن يذهبوا إلى الإمام في ضوران وأن يمروا على أخيه في رداع محمد بن الحسن، وأرفقهم بجنود حراسات، وعندما وصلوا إلى الإمام أخذ عليهم عهدا بالطاعة لدولته، وأذن لهم بالعودة إلى بلادهم، وقد عين عليهم عاملا هو شرف الدين بن مطهر عبدالرحمن، وطلب منهم حذف الدعاء للدولة العثمانية والذي كان سائدا حينها ربما بسبب أنها رمز للخلافة الإسلامية.(1)

ما الذي عمله جنود الإمام بعد الحرب..؟

وقد انسحب من جنود الإمام آل منصور من مرفد إلى الحد شمالا، والسبب ضيق المكان في مرفد وسعته في الحَدْ وتوفر الأعلاف للدواب بعد إقامة 19 يوما من عشرين ربيع الآخر إلى 10 رجب.وبقوا 10 أيام بالحقن في الحد ومن هناك انتقلوا إلى البيضاء ومنها إلى الصلالة، وفي يوم السبت 22 من رجب إلى الزهرا شرق السوادية وقد مرض بعض عساكر الإمام، وأذن لهم أحمد بن الحسن بالتقدم إلى محطتهم بالزهراء .وقد جاء خطاب من الإمام لأحمد بن الحسن ان يتريث ولا تنسحب العساكر حتى تستقر الأمور، والسبب ان بدر بن عبدالله لا يدري الإمام هل طاع أم لازال على عصيانه.؟ وأن الرسول الذي أرسله إلى هناك لم يعد بعد، بسبب بعد المسافة، (2) وقد بقي أحمد بن الحسن في الزهرا بعض الوقت، وقد انفصلت معظم الأجناد، وهم الجنود الذين ليسوا منتظمين في الخدمة، وهم من رجال القبائل، ومل العسكر البقاء بسبب كثرة الأمراض والعلل وبسبب ارتفاع الأسعار .وقد طلب أحمد بن الحسن من الإمام السماح لهم بالرحيل بعد ان انتهاء القتال(3)

عودة رسول الإمام الشويع من حضرموت

وقد عاد رسول الإمام من حضرموت الأمير صالح الشويع، محملا بالهدايا، وأن بدر بن عبدالله أطلق سراح عمه وعينه واليا على ظفار، (لم يصبح هذا الأمر قيد التنفيذ إلا العام التالي 1066 هجرية (4) وأيضا وصلت كتب من سلطان المهرة، عمرو بن سعيد المهري، بقرب موالاته للدولة الإمامية..

---

(1) أبو طالب مرجع سابق، ص 54
(2) المرجع السابق، ص 54-55
(3) المرجع السابق ص 55
(4) المرجع السابق ص 66

حصول العلل والأمراض لجيش الإمام

ويذكر المؤرخ حصول أمراض وعلل للجنود وأنهم ملوا البقاء شهر رجب 1065هجرية =مايو ويوليو 1655م، كان بقاء عسكر الإمام في يافع في أشهر الصيف وهي من الأوقات التي تقع فيها الحمى والملاريا، ويبدوا أنهم أصيبوا بالمرض بسبب تناولهم للماء غير النقي، ولدغ البعوض، وتغير الجو..وربما سؤ التغذية ..الخ ومعروف أن الجيوش غير النظامية من رجال القبائل باليمن لا يحبون الإقامة الطويلة بعد الحروب، وهمهم كم من المال يمكنهم توفيره في أقصر وقت، وذلك بالحرب مع جيش الإمام.ودولة الأئمة في كل حروبها تقريبا كانت تستخدم رجال القبائل، خاصة أهل حاشد وبكيل،لذا فبعض أهالي تلك المناطق احترفوا الحرب، وتركوا مهنهم في الزراعة وغيرها.

الغلاء والقحط وزيادة الضرائب على الناس بسبب الحرب

لقد وقع قحط في هذه السنة ولم تهطل الأمطار بكثرة واقتصاد البلاد معتمد على الزراعة، وبسبب الحرب فقد زادت الدولة الضرائب على الناس لتمويل الحرب والتوسع، وقد ذكر المؤرخ أبو طالب (والإجحاف برعايا اليمن في طلب الواجبات مع الشدة) (1)

انسحاب الجيوش الإمامية من الزاهر البيضاء باتجاه رداع

بعد عودة الرسول من حضرموت وقبول سلطانها شروط الإمام، لم يعد أمام جيوش الإمام إلا العودة إلى بلادهم، منتصرين ظافرين، وقد عين أحمد بن الحسن العلفي أميرا على الخَلقَة، وأمره ببناء ما تخرب منها.وقد انسحب أحمد بن الحسن من الزهراء في أول شهر شعبان، وبقية القوات عادت إلى رداع في يوم الجمعة نصف شهر شعبان، وتركت رداع في يوم الثلاثاء 19 من الشهر المذكور إلى ذمار في موكب ملئ الصدور، واستقرت بذمار 3 أيام (2) ومن ذمار إلى ضوران حيث بقي أحمد بن الحسن إلى أول رمضان، ومن هناك عاد إلى صنعاء، وقد أعطى الإمام عدة شهر للجنود (=المعاش مع الطعام والحبوب) والسبب أنهم أتوا قبل مجيء قائدهم أحمد بن الحسن بغير استئذان، (يدل على أنهم من رجال القبائل وأنهم ليسو جنودا نظاميين)(3)

---

(1) أبوطالب، مرجع سابق ص 55

(2) السابق نفس الصفحة

(3) المرجع السابق، ص 56



قرية الزهراء شرق السوادية والتي كان للائمة فيها موقع عسكري،هذا المكان فسيح ووسيع لسكن الجند، ويتوفر فيه الماء، تصوير المؤلف أغسطس 2006.

ثورة أهل يافع الأولى

بعد انسحاب جيوش الإمام من المشرق كان الوالي على يافع شرف الدين مطهر بن شرف الدين، وكان معه مائة جندي،وقد كان هم كل واحد منهم العودة (1) (لا نعتقد ان العدد كان بهذه الضآلة بل ربما يكون هذا تصغيرا من مؤرخي دولة الأئمة لعدد قواتهم عندما تهزم) وقام هذا العامل بتجنيد 300 من الأهالي لأجل ان يستخلص بهم الواجبات(الجزية) وطلب من أهل يافع تسليم ديات قتلى الدولة الإمامية، ربما لجباية هذه الأموال له.ذكرنا سابقا في ص 50 أن المؤرخ، ذكر أنه قتل 7 من أهل يافع ولم يذكر أن أحد قتل من جيش الإمام، وهنا يقول أن عامل الإمام طلب منهم ديات القتلى، ومعنى ذلك سقوط قتلى من جيش الإمام.

---

(1) المرجع السابق ص 56

فثار عليه السلطان محمد بن عفيف، وأنحاز شرف الدين إلى جبل نفاج، وحسب المؤرخ أبو طالب فأنه قتل من أهل يافع 25 رجلا، وستة قتلوا من أصحاب الإمام نرى هنا ان عدد القتلى من جانب قوات الإمام 6 أي ربع ما قتلوا من أهل يافع ومثل هذا الرقم قيل في معركة نجد السلف بين أهل البيضاء وجيش الإمام، حيث ذكر ان عدد قتلى أصحاب الرصاص 200 والإمام 50 أي ربع الرقم..هذه الأرقام لا يعتد بها ولا يعقل ان يغلب مائة جندي بلاد في حجم يافع ويكون القتلى من الأهالي أكثر من الجنود، وهم أهل البلاد الذين يعرفون أرضها ومداخلها ومخارجها..وقد غنم أهل يافع ما تركه عامل الإمام بمسجد النور.

(هذا اسم قرية وليس مسجدا)ولم يحارب معه العسكر الذين تم ضمهم مؤخرا إلى جيش الإمام وهم من يافع، وتوسط بينه وبين آل عفيف الشيخ مقبل بن عامر الغساني، وكان في وجه الشيخ الغساني في أن يخرج من بلاد يافع سالما وخيره في الطريق الأفضل لخروجه، وأقترح عليه الخروج عن طريق أبين، وصحبه محمد بن عفيف إلى خنفر، ورجع محمد بن عفيف إلى بلاده بمن سايره.(هذه المسايرة معروفة عند القبائل إذا كان هنالك شخص غريب يقومون بمرافقته حتى يخرج من بلادهم وذلك حتى لا يقوم أحد بالاعتداء عليه) ويضيف أبو طالب ان شرف الدين وصل هو وأصحابه، إلى الأمير الحسين بن عبدالقادر اليافعي، والذي أعطاه حصانا، وارتحل من هناك عائدا إلى بلاده، وعاد معه من أصحابه ستون رجلا والباقون تفرقوا في البلاد،ربما هؤلاء الناس هم الذين قتلوا في يافع.

ووصل الخبر إلى الإمام بعد 4 أيام بطرد عامله في يافع، فانزعج من ذلك وأقامه وأقعده هذا الخبر، وكان قبل هذا قد بلغه رفض أهل يافع تسليم الجزية للدولة الإمامية، وتحدث أهل المشرق في الهجوم على مراكز الدولة، وان أهل يافع سيطروا على بلاد بني أرض.(منطقة شرق البيضاء) وبعد مشاورات مع مساعدية، وضرورة تعيين رئيس عظيم لحكم تلك المنطقة، تم تعيين الحسين بن الحسن، ولم يكن راغبا في هذا التكليف (شقيق أحمد بن الحسن)(1) وكان هذا بعد رمضان آخر العام 1065 هجرية ,1655م.

وقام الأمام بإرسال ولده محمد لقتال أهل يافع على وجه السرعة، حتى لا تتوسع دائرة الثورة على الأئمة، حيث قام بعضا من أصحاب الرصاص بانتهاب قافلة في نجد السلف.وكان يرافق ابن الإمام أحمد بن هادي بن هارون من ذمار.(2)

---

(1) أبو طالب مرجع سابق، ص 57

(2) المرجع السابق، ص 58

وأيضا شيخ قيفة العليا زين بن مصعب، والذي تقدم قبل وصول إبن الإمام، ووصل إلى البيضاء.(1)

تجهيز حملة عسكرية إلى يافع 1066هجرية

قام الإمام بالاتصال بمساعديه من آل الإمام، وطلب الأجناد من قبائل حاشد وبكيل لتجهيزهم للذهاب لحرب أهل يافع، وفي يوم الخميس ثاني محرم 1066 هجرية الموافق 1 نوفمبر 1655م تحرك أحمد ومحمد بن الحسن، ومحمد أحمد بن القاسم، إلى حضرة البستان(قرية في ضوران انس وهؤلاء القادة هم الذين غزو جنوب اليمن قبل عام) وبقوا هناك 15 يوما.بعد ذلك رحَل الجميع إلى ذمار لجمع الجند ولتجهيز الحملة العسكرية، وتقدم أحمد بن الحسن إلى رداع حتى يكون على مقربة من أخيه الحسين بن الحسن الذي في البيضاء، وقد عين من قبل وهو بالخَلَقة من الحد يافع.(2)

مناوشة بين قوات الإمام بقيادة الحسين بن الحسن وأهل يافع العليا

وقد طلب الحسين بن الحسن منهم تسليم الواجبات (ومن ضمنها الزكاة وغيرها وهي أشبه بالجزية) حيث كان معه 800 مائة جندي، لكنهم رفضوا تسليمها إليه، وقالو أنهم لن يسلموها إلا إلى أحمد بن الحسن وهو في رداع، وقد أتى شخص يدعى صلاح بن محمد القاسمي، من جانب الدولة لأخذ الواجبات ولكن لم يسلم له احد.وكان يحارب بالليل من يظهر الطاعة بالنهار.!(هكذا حرب العصابات أنها تكون سرية وفيها لا يظهر الثوار عداوتهم لخصمهم) وقتل في هذه الأثناء محمد بن ناصر صبح رميا بالليل، وكان معينا من قبل الإمام عاملا عليهم ومعه رجال وخيل.)(3)

وتقدم محمد بن المتوكل، مع الفقيه محمد بن علي جميل عامل البيضاء، والسيد أحمد بن هادي بن هارون، إلى الخَلَقة بيافع الحد في أول شهر ربيع الأول، وتحرك أحمد بن الحسن من رداع إلى الخلقة في يوم السبت حادي عشر شهر ربيع الأول، ووصل إلى الخلقة يوم سادس عشر من الشهر المذكور، ومن هناك إلى بني بكر، والى جربة غالب وأقام فيها يوم الاثنين.

---

(1) أبوطالب، مرجع سابق ص 58
(2) المرجع السابق، ص 59
(3) المرجع السابق، ص 60

ومن هناك تقدم إلى مسجد النور يوم الثلاثاء، وأقام بها إلى يوم الأربعاء، ورتب العساكر استعدادا للقتال يوم الخميس 23 ربيع أول 1066 الموافق 20 ينـاير 1656م (وأذن في استئصال شأفتهم بحي على خير العمل)وبداء القتال يوم الخميس في المدرج الذي بناه سنان باشا في جبل النفاج وقد قال أبوطالب ان أهل يافع هزموا شر هزيمة..(1)

ويبدوا ان أهل يافع تراجعوا تكتيكيا كعادتهم أمام اندفاع جيوش الإمام والتي يبلغ عددها 15000 جندي، وهذه طبيعة حرب العصابات حيث لا تصلح المواجهة المباشرة إلا بين جيش لجيش، وليس جيشا لمواطنين فقراء، لا يمتلكون الكثير للمقاومة ولتجهيز عدة مكلفة للحرب.

السماح بنهب يافع لمدة 5 أيام

أحمد بن الحسن يأذن للجنود في استباحة البلاد ونهبها وسلبها لمدة 5 أيام،

مما اضطر بعض أهلها إلى الهروب إلى المناطق المجاورة.وقد أسر بعض من أهل يافع وبينهم 40 امرأة.(2)ويقول حسن صالح شهاب في كتابه تاريخ يافع،أنه بعد أن طلب العفيف العفو من الإمام وأمنهم، رأى جنود الأئمة ذات يوم امرأة مع جواري ومعهن سلاح، وأخذوهن إلى محطة أحمد بن الحسن، وتبين فيما بعد ان بينهن زوجة السلطان محمد بن معوضة، وأمر أحمد بن الحسن من يثق فيه بحملها إلى رداع، حيث بقيت هناك بالسجن لمدة عام بعد الحرب (3).

وقد قام أحمد بن الحسن بتفريق الجنود على بلاد يافع، لان عددهم كان كثيرا 15 ألفا وكان عدد القتلى من أهل يافع 150 قتيلا من بينهم أحد أبناء السلطان وهو عبدالله بن عفيف. وأكثر الذين قتلوا كانوا من كَلَد، وذي ناخب، من بني قاصد.(4) واضح أن مشائخ القبائل وقبلهم السلاطين لم يقبلوا بدولة الأئمة.ولم يقبلها إلا بعض المواطنين العاديين.

وربما انه جعل الجنود خِطَاطْ على الناس، حيث يقومون بخدمتهم وإطعامهم وإيوائهم في بيوتهم،وقد كان الأئمة يستخدمون هذا الأسلوب، لإذلال وإفقار القبائل التي تقاومهم حتى يخضعون تماما لحكمهم.

---

(1) ابوطالب، مرجع سابق، ص61

(2) المرجع السابق، ص 61-62

(3) حسن صالح شهاب، تاريخ يافع مرجع سابق ص 39

(4) أبو طالب مرجع سابق، ص 62

ولم يذكر المؤرخ خسائر جيش الأئمة في هذه الحرب والتي ربما كانت أكثر من خسائر أهل يافع..وقد طلب الشيخ محمد بن معوضة هو وأصحابه الآمان، وأمنهم أحمد بن الحسن وبعثه إلى أخيه محمد بن الحسن في رداع ومن هناك إلى الإمام في ضوران، والذي أبقاه بالسجن.

سحب الحبوب والسلاح الناري والأبيض من أهل يافع

وقد بقيت جيوش الإمام هناك في يافع لوقت طويل أشبه بقوات احتلال، وقامت بعمليات قمع وإرهاب ونهب وسلب، وقد أمر أحمد بن الحسن بسحب السلاح من أهل يافع، وقد جمعوا ألفين بندقية من الناس، من غير ما نهبه العساكر، ((ولقد كان يطلب من احدهم عددا من البنادق معروفا فيقول:عندي أزيد من ذلك خوف أن يظهر عليه فيسلم من الأدب ألوفا)) وهذا يدل على شدة العقوبات والإرهاب الذي جرى على الناس، ((ثم أمرهم مولانا الصفي أحمد بحملها إلى حضرة الأمام على ظهورهم، وأصيبوا من الإهانة بما حط من قدرهم وكفى قدورهم والحبوب التي معهم أخذ منها النصف لبيت المال ورد عليهم النصف الآخر لرأي رآه الأمام في ذلك الحال، وأخربت حصونهم والمصانع، وكانوا هم الذين يخربونها بأيديهم بلا تلكؤ ولامانع، وكان مولانا الصفي أحمد أرسل بالشيخ محمد بن معوضة إلى مقام الإمام، ولما وصل أقر بما سبق من الجرائم العظام وارتكاب كل الآثام، وأخذ أموال المسلمين بالقهر والغلبة في تلك الأيام، وأظهر توبة نصوحا وأعلن بها تصريحا وتلويحا، فقبل منه الإمام وتجافى له عما أثار من الصدام، وبقي بالحضرة يسيرا، ولم تطل به الأيام وتجهز إلى ثغر الحمام، وصلى عليه الخليفة في محفل عام، وقابل ظاهر توبته ووكل باطن أمره إلى الملك العلام)).(1)

لم يكتف أحمد بن الحسن بسحب أسلحة الناس، بل أمرهم بحملها على ظهورهم إلى ضوران، عاصمة الإمام إسماعيل، نكاية وتنكيل وإذلال وتعذيبا لهم، والمسافة إلى هناك مسيرة أكثر من أسبوع.ويقول لنا الأهالي في يافع أن دولة الأئمة لم تسحب منهم البنادق فحسب بل سحبت منهم الجنابي والخناجر والسكاكين والشفار (سكين صغير يستخدم لسلخ جلود الذبائح (2))

---

(1) أبوطالب، مرجع سابق، ص 61-68 لا يستبعد أن بن معوضة تعرض للقتل من قبل الإمام أو أتباعه.

(2) هذا ما قاله الأهالي هناك للمؤلف عند زيارته ليافع في شهر مايو 2006

وسمح لكل عشرة بيوت باستخدام شفرة واحدة للذباحة والحلاقة..!!ولنا ان نتخيل إلى أي حد وصل تعسف الأئمة وظلمهم وتعصبهم، وفوق هذا قام أحمد بن الحسن وعساكره بأخذ كل ما يملكون من حبوب، والإمام أعاد لهم نصف المحصول لأمر رآه..!!واضح أن الإمام هنا لم يكن يريد أن يهلك كل أهل يافع بسبب الجوع. ولمن يعرف أرياف اليمن وكيف يدخرون الحبوب كطعام لعدة لسنة أو اكثر يدرك شدة نهب الحبوب على الناس ومدى الضرر والآلم الذي أصابهم من ذلك.

أما حكاية أن الشيخ محمد بن معوضة، ارتكب كل الآثام، وكان يأخذ أموال الناس بالغلبة، فلا دليل على هذه التهم والقصد هو تبرير اعتقاله وغزو يافع، ومعروف أن سلاطين ومشائخ يافع، وجنوب وشرق اليمن ، لم يكن لهم سلطة مطلقة على الناس أبدا، بل أن الناس أنفسهم هم من كان يكلفهم بتولي أمورهم، وأحيانا يكون ذلك باتفاق مكتوب بينهما وهذا أشبه بدستور في الوقت الحالي.وقد ضلت يافع تحكم بالأعراف والتقاليد حتى جاء الاستقلال عام 1967م ولم يكن يوجد فيها محاكم أو ما شابه ذلك.وقد بقي أحمد بن الحسن في مسجد النور من بلاد يافع حتى رمضان من نفس العام أي من شهر ربيع الأول إلى أخر شعبان من نفس العام (1)

الحبيب سالم بن أحمد

واستمر الحبيب سالم بن أحمد في تحريض أهل يافع على الثورة على دولة الأئمة، ويقول أبو طالب عن الحبيب ((وأهل يافع لهذا الحبيب أطوع من النعال..وله بالتمويه عليهم بالمحال، وقد لمحنا فيما سبق إلى شيء من ضلالته بما يغني عن الإعادة، ذلك ديدنا له ولإبائه جرت به فيهم العادة، ولكنها كانت صواعقه لهم محرقة، فأرداهم الجميع بتغريره وأكاذيبه المتحققة وجهالاته الموبقة.)) (2)

عالم الدين والصوفي سالم بن أحمد ووالده واجداه، تعود علاقتهم بيافع إلى أواخر القرن العاشر، حيث قبلت يافع سلطته الروحية، وكان له جزاء من زكاة يافع، ولم يكن له أية سلطة دنيوية عليهم إذ كانت هذه الوظيفة من مهمة السلاطين والمشائخ.وقد كان له احترام وتقدير عند العامة والخاصة لدوره التربوي والديني، ولم يكن أهل يافع يخضعون له خضوعا تاما مثلما يذكر المؤرخ أبو طالب.

---

(1) أبو طالب مرجع سابق، ص 61، و68

(2) المرجع السابق، ص 63

ثورة أهل يافع وأهل الضالع

لقد حاول أهل الضالع على ما يبدوا، إشغال الدولة الإمامية بمكان آخر، لتخفيف الضغط على أهل يافع لان الحال واحد، وإذا ذُلت يافع ذلت باقي المناطق، وقام أمير الضالع وقبائل الإجعود وجميع أصحابه، بالاحتشاد في راس حُجَيل، بقصد تأمين الطرق.إلا ان أحمد بن الحسن أحس بخطر هذه الحركات وأرسل له رسالة يحذره من عمله هذا.(1)

لكن الأمير لم يكترث لذلك، وقام بتحريض أهل الضالع وما جاورها، مثل الحواشب ويافع على عدم دفع الجزية للإمام، وقامت القبائل هناك بقطع بعض الطرق، ونهب الأطراف وقتلوا رجلا من برط في بئر الشريف وآخر معه، وكانا قادمين من صهيب باتجاه قعطبة، وقطعوا طريق لحج وغزوا الحمراء وقتلوا أربعة (ربما الحميرا شمال قعطبة) ومما يميز مقاومة أهل الضالع هو مشاغلة الدولة الإمامية، مع عدم جرها لمواجهة كبيرة.وقد أمر أحمد بن الحسن أمير عدن أمير الدين بن احمد العلفي، أن يقيم في لحج لتأمين الطرق وإخماد ثورة أهل تلك البلاد. (2)

وثورة في الصُبَيحة

ذكرنا فيما سبق أن أحمد بن الحسن أمر أمير عدن العلفي، بالذهاب إلى لَحْج وتهدئة ثورة الناس هناك، وبينما كان في لحج حصل نهب وسلب وأعمال مقاومة، من أهالي الصُبيحة ضد قوات الأئمة، وقام العلفي بحجز بعض مشائخ الصُبيحة، وقاموا بالهجوم على العلفي وعساكره من أجل تخليص اولائك المشائخ، وقد حصل قتلى وجرحى من الجانبين، ويقول المؤرخ أبو طالب انه قتل من الصُبيحة 26 رجلا..أما جيش الإمام فلم يحصل إلا جراحات..!

بعد ذلك أتى قاضي اسمه محمد صلاح الفلكي من قضاة ذمار وحكم عليهم بالتعدي، وأهدر دمائهم، وأدبهم أحمد بن الحسن ((وحوسبوا على ما منعوا من الواجبات حتى استهلكت الكثير من أموالهم ولم تكفي)) (3) معنى ذلك أنه تم تغريمهم الغرامات الطائلة، بغرض إذلالهم وإفقارهم حتى يخضعوا لدولة الأئمة، بالنسبة للقتلى هكذا كان عادة دولة الأئمة أنهم لا يعترفون بخسائرهم الحقيقية،وقد ذكرنا ذلك من قبل، ومعروف أن الحرب تأكل أرواح من الجانبين، ولا بد من حصول زيادة في عدد الضحايا هنا أو هناك.

---

(1) أبوطالب، مرجع سابق، ص 62

(2) المرجع السابق، ص 63

(3) المرجع السابق، ص 64

وعندما هدأت ثورة يافع، طلب أحمد بن الحسن، من الأمير أحمد بن شعفل الحضور إلى مسجد النور بيافع وحضر معه 3 من أولاده، وكان السفير بين الأمير شعفل وأحمد بن الحسن، السيد علي عبدالله بن حيدرة الغرباني، وقد طلب من أحمد بن الحسن الأمان له ولأصحابه وأمنهم، وأرسله أحمد بن الحسن إلى الإمام في ضوران، حيث بقي بعض الوقت، ثم تم الإفراج عنه وعن الشيخ صالح أحمد الرصاص، وعددا من مشائخ يافع.

وقد ضلى الإمام في ذمار من بداية العام 1066هجرية، الموافق 1656م، حتى يكون في مكان مناسب لمتابعة الأخبار، واتخاذ ما يلزم من أجراءات ولم يعد إلى ضوران إلا بعد عودة ابن أخيه أحمد بن الحسن.(1)

وقد عين أحمد بن الحسن، أخيه الحسين بن الحسن واليا على يافع والبيضاء، وكان عامل البيضاء الفقيه علي بن صالح الجملولي، وفي يافع القاضي حسين بن يحي المخلافي.

فتوى من الحسن بن أحمد الجلال ببطلان غزو الجنوب وشرق اليمن

وفي هذه السنة وبعد تلك الحروب المريرة، بين سكان جنوب اليمن وجيوش الأئمة، وبخاصة المعارك التي دارت في يافع ،وما حصل فيها من قتلى وجرحى ونهب وسلب وتدمير للحياة بشكل عام، وما قامت به الدولة الإمامية من زيادة في الضرائب والمكوس على الناس حتى تمول الحرب.أنبرى احد علماء الدين الزيدية الكبار، وهو السيد العلامة الحسن بن أحمد الجلال وكتب رسالة اسماها (برأة الذمة في نصيحة الأئمة)، وهذه الرسالة فيها احتجاج على غزو يافع والجنوب من قبل الإمام إسماعيل، وقد اعتبر هذا العالم قتال أهل تلك البلاد إثم ديني ودنيوي، وأن قتالهم لقوات الأمام هو جهاد حسب مذهبهم، والحساب الصحيح يوم القيامة. أنضر نص الفتوى في الملحق ص 109.

نشاط دولة الأئمة

هنا سنستعرض نشاط دولة الأئمة في جنوب اليمن في فترة ما بعد الحرب في يافع عام 1066 هجرية، الموافق 1656م ومذكور في هذه السنة ان السلطان بدر بن عمر الكثيري توجه إلى ظفار حضرموت من جهة الإمام.

---

(1) أبو طالب، مرجع سابق، ص 65-66

وذلك بعد ما أطلق سراحه ابن أخيه من السجن بدر بن عبدالله، وقد ذكر ذلك في حوادث عام 1065 هجرية، الموافق 1655 م وذلك حين أرسل السلطان بدر بن عبدالله رسول إلى أحمد بن الحسن مظهرا الطاعة ..!ونحن نعتقد أن سلطان حضرموت بدر بن عبدالله أطلق سراح عمه بدر بن عمر في عام 1066 هجرية بعد حرب يافع الأخيرة وبقاء جيوش الإمام هناك.

وفي عام 1067 هجرية الموافق 1657م وقعت اضطرابات في يافع، ولم يبين نوع هذه الاضطرابات ولكنها ستكون مقاومة لجيش الأئمة، وقد أرسل الإمام الحسين بن الحسن إلى هناك، وأخذ الزكوات وعاد إلى رداع.

وفي هذه السنة أرسل الإمام رسولا إلى سلطان حضرموت هو القاضي حسين أحمد الحيمي ((وأمره بتفقد أحواله وأعذاره وإنذاره عن التخلفات المؤدية إلى الفوت))(1) على ما يبدوا ان ذهاب الحيمي إلى هناك كان لأجل أخذ الواجبات(الجزية) ولإشعار السلطان أن الإمام حاضر بقواته.وقد عاد القاضي الحيمي من حضرموت ومعه هدايا ونفائس عظيمة، مرسلة من السلطان بدر بن عبدالله سلطان حضرموت.(2)

وفي هذا العام تم تعيين الفقيه محمد بن علي جميل، واليا على البيضاء، بدلا من علي بن صالح الجملولي، والسبب شكوى الأهالي من الجملولي.

وفي عام 1068 هجرية الموافق 1658م توفى الأمير الحسين بن عبدالقادر اليافعي، والذي كان أميرا على عدن منذ أيام العثمانيين، ثم وقعت بينه وبين الأئمة حرب عام 1054هجرية هزم على أثرها، وخرج من عدن وبقي في خنفر شرق عدن أميرا عليها تقريبا، وهذا ما يدل عليه ذهاب شرف الدين بن مطهر بن شرف الدين عام 1065 إليه وهو في خنفر.(3)

وربما أن يافع وقفت بجانبه بسبب قرب خنفر إليها، ورغبة الأئمة في عدم إثارة كل زعماء الجنوب وهذا واحد منهم. واضح أن الإمام لم يكن يريد السيطرة التامة على السلاطين، بحيث أنه يطردهم نهائيا من مناصبهم، بسبب استحالة ذلك وكلفته الكبيرة.وغرضه كان فقط خضوعهم لدولة الأئمة، ودفع الجزية..الخ وحسين عبدالقادر كان له حكم عدن وما حولها منذ أيام العثمانيين، هو ووالده.

---

(1) أبوطالب، مرجع سابق ص 71

(2) المرجع السابق، ص 72

(3) المرجع السابق، ص 57

الوضع في حضرموت

وفي ذي الحجة من هذا العام 1068 هجرية الموافق سبتمبر 1658م، قام جعفر بن عبدالله الكثيري، بطرد عمه بدر بن عمر من ولايته في ظُفَار، بسبب أنه انتحل مذهب الزيدية، والذي تم تعيينه هناك من قبل ابن أخيه بدر بن عبدالله، في عام 1066 هجرية حسب رغبة الإمام، وقد وقع قتال بين جعفر بن عبدالله، وعمه بدر وقتل ولد السلطان بدر بن عمر والي ظفار حينها، وقد هرب السلطان بدر بن عمر إلى الإمام إسماعيل في ضوران، ووصل إليها في شوال من عام 1069 هجرية، الموافق يوليو 1659م، وقد غضب الإمام من فعلة جعفر بن عبدالله ضد عمه، وأكد لبدر بن عمر انه سيقوم بعمل اللازم وسيعيده إلى سلطانه.(1)(2)

الإمام يعد العدة لغزو حضرموت

في هذا العام فكر الأمام في غزو حضرموت وفرض سياسته وتجريب قوته وحضه، حيث والعذر لغزو حضرموت قد أصبح متوفرا، ألا وهو وجود السلطان بدر بن عمر مطرودا من أبناء أخيه عبدالله.وقد قام الإمام بنصب الخيام بالمنشية في جهران بالقرب من ذمار، استعدادا لتجميع القوات وإعلانا للحرب، وعقد الإمام اجتماعا مع محمد بن الحسن حول الاستعدادات لغزو حضرموت. (3)

وقد تم تعيين أحمد بن الحسن قائد للحملة العسكرية الذاهبة إلى حضرموت، وبداء المسير في 15 شوال 1069 هجرية،الموافق 5 يوليو 1659 م نحو حضرموت ومر بمأرب وبيحان ثم بلاد العوالق في شبوة، ومن هناك إلى وادي حجر في حضرموت، وقلت المؤن على جيش الإمام حتى اضطرهم ذلك إلى أكل لحوم الحمير، وقد قام الناس في الجنوب بنهب القوافل المزودة لجيش الإمام بالمؤن، وكان محمد بن الحسن قد تقدم من ذمار إلى رداع لدعم أخيه أحمد بن الحسن المتجه إلى حضرموت.(4)(5)

وفي عام 1070 هجرية الموافق 1660م وقعت حادثة أحور والتي تقع شرق أبين على الطريق إلى حضرموت.

---

(1) أبو طالب، مرجع سابق، ص 77

(2) ابن الوزير، مرجع سابق، ص 157-158

(3) ابوطالب، مرجع سابق، ص 77-78

(4) المرجع السابق، ص 78

(5) ابن الوزير مرجع سابق، ص 159

كــان أحمد بن الحسن قد قــام بتجنيد جماعة من أهل احــور وذلك لحراسة الطـرق، وإيصـــال المؤن والأغذية لعساكر الإمام، وكان المسئول عليهم هو الفقيه محمد بن قاسم بن أبي الرجال وهو من عسكر الأمام.وقد طلب أبي الرجال من أهل أحور جمـالا لحمل الأزواد والمـؤن لجيش الإمـام لكنهم رفضوا، وحـاول عسكر الإمـام أخذ الجمـال بـالقوة، وقـام أهل احـور وقتلـوا جميع العساكر وكانوا نحو عشرين، وربما أن هؤلاء من الزيـود أصحاب الإمـام.وعلم رئيسـهم بـذلك وذهب إلى أهل احور وقتلوه.ومن بقي من جنوده، فروا برؤوسهم بعيدا.(1)(2)

وهـذا الحـادث ربما أنه وقع في جمـاد أول أوالثـاني أنظر الحـادث التـالي.وفي يـوم الخميس سادس رجب، أرسل الإمـام فلـوس وأكسية لأهل دهم من بلاد الجوف، بواسطة القاضي أحمد بن علي، وأمـرهم بغـزو أطراف بلاد الرمل شـرق بـرط وأسـفل الجـوف، وبلغـوا إلى قبائل المُعْظَـة، والعرصان، فـانتهبوا أبلهم، ورجعوا مقتصرين على نهب الإبل،لأن الإمـام إسماعيل يريد إرسال تلك الإبل إلى حضرموت.ولم تصل تلك الجمال إلى حضرموت بسبب بعدها، وقيـام أحمد بن الحسن بالهجوم والتقدم قبل وصولها.

وقد بقي أحمد بن الحسن في حَجَر، وكابد العساكر مشاق نقص الماء والمؤن والمواد الغذائية والحر.أما الإمام فقد قام بإرسال أهل الحيمة إلى البيضاء، لتأمين الطريق ولدعم الجند الغازين إلى حضرموت في حالة حاجتهم إليهم.

الهجوم على حامية السلطان في العقبة في ريدة بامسدوس ثم الهجرين

بعد طـول انتظــار في حجر، لم يكن هنالك أمـــام أحمد بن الحسن، إلا أن يقــوم بالتقــدم نحو حضـرموت باتجـاه أمـاكن السـلطان بـدر بن عبدالله, وقد أرسل طلائع للتعـرف على الطـرق، وتبعهم حــتى وصل منطقة اسـمها العقبة في ريــدة بامســدوس، حيث وجـدوا رتبة متقدمــة للسـلطان بـدر وهاجموها، واجبروا من كـان فيها على الانسـحاب، واستولوا على ما فيها من مؤن وأزواد وأعلاف، ومن هناك تقدم إلى الهجرين، ولم يبقى بينه وبين السلطان غير مسافة يومين وكان حينئذ في هِينَن.(3)(4)

---

(1) ابن الوزير، مرجع سابق ص 161

(2) ابوطالب، مرجع سابق، ص 71

(3) أبو طالب، مرجع سابق ص 80

(4) ابن الوزير، مرجع سابق ص 162-163

التقدم إلى هِينَنْ ثم شِبَامْ

ومن الهجرين والتي تقع جنوب شرق هينن، تقدم جيش الإمام إلى هينن حيث السلطان بدر، وقد وقعت معارك كبيرة بين الجانبين، ولكن بسبب كثرة جيوش الإمام واندفاعهم فقد ضلوا يتقدمون حتى وصلوا إلى هينن، ومن هناك خرج السلطان إلى شبام، وتقدم بعده أحمد بن الحسن وجيش الإمام ووصلوا إلى شبام حيث انتهبوها، ووزعوا الغنائم على الجيش والذي قد عانى الأمرين في طريقه إلى حضرموت، وقد طلب السلطان الأمن، من أحمد بن الحسن فأمنه.(1)وقد بعث أحمد بن الحسن بالسلطان بدر بن عبدالله إلى الإمام في ضوران آنس وبقي لدى الإمام أياما ثم أعيد إلى بلاده(2) والغزو هذا جرى على ما يبدوا في شهر شعبان وقبل رمضان من عام 1070 هجرية.الموافق يونيو 1660م.

تأديب أهل دثينة على قطعهم الطريق أثناء غزو حضرموت

وقد قامت قوات الإمام الموجودة في البيضاء، بغزو بلاد الشيخ علي الهيثمي في دثينة واستولوا على ما فيها من الأموال والبغال، وقتل من الجانبين 12 نفرا، وقد فر الهيثمي ولم يصب بأذى (3)ويذكر إبن الوزير أن شرف الدين بن مطهر شرف الدين، غزا بلاد الهيثمي في أواخر شهر رمضان، ووقع قتل بين الجانبين وفر الهيثمي، وفي الشهر التالي وصل الهيثمي، والقرعة، والفضلي، إلى الإمام إسماعيل في ضوران وأكرمهم وأعادهم إلى بلادهم(4).

أما أحمد بن الحسن فقد عاد في آخر العام من حضرموت في أبهة عظيمة، وقد استقبله الإمام استقبالا حسنا.وقد أرسل قافلة محملة بالغنائم والملابس ولكنها انتهبت في الطريق من قبل أهل شبوة وقتل من كان معها من حراسات.(5) (6)

معنى انتهاب القافلة أن الطرق لم تكن آمنة ولا أحد مسيطر عليها.ولقد كان تأمين الطرق بالماضي من الأمور الصعبة والمكلفة.إذ يتطلب الأمر السيطرة على تلك المناطق.

---

(1) ابن الوزير، مرجع سابق ص 162-163

(2) أبو طالب، مرجع سابق، ص 81

(3) ابوطالب، نفس الصفحة

(4) ابن الوزير، مرجع سابق ص 164

(5) أبو طالب، مرجع سابق، ص 82

(6) ابن الوزير، مرجع سابق ص 167

جعفر الكثيري يستعيد السيطرة على ظفار.

وفي آخر هذا العام 1070 هجرية، جأت الأخبار من ظفار، أن السلطان جعفر بن عبدالله استعاد منطقة ظفار بمساعدة سلطان عمان.ربما في ذي القعدة أو ذي الحجة.(1)

اعتقال بعض من شيوخ جنوب اليمن

وفي نهاية هذا العام أيضا، تم اعتقال عددا من مشائخ جنوب اليمن من منطقة الواحدي، ودثينة، ووضعت الأغلال عليهم وتم أخذهم إلى ضوران، صحبة الفقيه علي بن صلاح الجملولي، منهم الشيخ على الهيثمي شيخ دثينة، وقد خصه الإمام بالإهانة لتكرار ثوراته على جيش الإمام، فأمر الإمام بوضعه في سجن كوكبان لتأمينه من الهرب، وأما الباقون فقد أعيدوا إلى بلادهم.(2) وهذا الشيخ برغم صغر منطقته،إلا إنه كان واحد من أنشط زعماء الجنوب، في مقاومة دولة الأئمة.وأهل منطقة دثينة اشتهروا بحبهم للاستقلال.

وإلى هنا تنتهي عملية غزو الجنوب ومن بعد عام 1070هجرية، دخل جنوب اليمن وشرقه في طور آخر، سنتناوله في الفصل القادم.

---

(1) أبو طالب، مرجع سابق ص 83

(2) ابن الوزير، مرجع سابق، ص 168

خاتمة الفصل الثالث

الأئمة يعدون العدة لغزو جنوب اليمن، وقد بداء ذلك حينما ذهب أحمد بن الحسن إلى أمير عدن،الحسين بن عبدالقادر اليافعي لاجئا عام 1051هجرية،ثم غازيا عام 1054هجرية، وقد رأى ما لدى الحسين بن عبدالقادر اليافعي من أموال، وما لعدن من أهمية اقتصادية، وقد تم غزو عدن واحتلالها من قبل الأئمة عام 1054هجرية، وبعد الاستيلاء على عدن ومجئ الإمام إسماعيل بن القاسم، خلفا لأخيه المؤيد محمد بن القاسم، كان من أهداف الأمام الجديد وأركان دولته غزو الجنوب، وقد أرسل الإمام إسماعيل رسالة إلى سلطان حضرموت عام 1057هجرية.وفي عام 1058هجرية حصل بين علماء الزيدية الهادوية، جدل فقهي حول الضريبة، (الجزية)التي يفرضها الإمام إسماعيل على أهل اليمن الأسفل وغيرهم، وما مدى شرعيتها واتفاقها مع الدين، وفي عام 1063 هجرية رفض أهل الشعيب بالضالع دفع الجزية المفروضة عليهم، وجهزت حملة عسكرية لتأديبهم. وفي عام 1064 هجرية قام الأمام بعقد عدة اجتماعات مع أركان دولته، ومع أهل الحل والعقد في المناطق الزيدية الهادوية، استعدادا لغزو الجنوب، وقد كان للأئمة أهدافا سياسية ودينية واقتصادية، من الغزو. وبداء الغزو في شهر ربيع من عام 1065هجرية، حيث تقدمت قوات الإمام إلى رداع ،ومن هناك إلى منطقة الطفة شمال البيضاء، وفي نجد السلف (يسمى الآن شعب الدقيق ويقع شمال ذي ناعم)وقعت المعركة الكبرى، بين جيش الأمام وأهل البيضاء، وبعض أهل الجنوب ، مثل سلطان العوالق وغيرهم، وقد قتل السلطان حسين الرصاص، مع المئات من أهل البيضاء.وانتصرت قوات الإمام،ثم تقدمت واستولت على البيضاء، ومن هناك تقدموا إلى الخَلَقَةَ شمال يافع، استعدادا للهجوم عليها، حيث أن سلاطين يافع لم يعلنوا قبولهم بعد بدولة الأئمة.

وقد أتى الزعيم الروحي الصوفي، الحبيب علي سالم بن أحمد إلى يافع، وأشترك مع أهاليها في مقاومة الغزو الإمامي، وقد عمل أهل يافع متاريس في جبل العُرْ، وما حوله استعدادا لمواجهة جيش الأمام.وقد تقدمت جيوش الإمام باتجاه يافع وقامت الحرب في شهر جمادى الآخرة عام 1065هجرية، حتى وصلت مرفد بعد معارك متفرقة، وانسحب أهل يافع أمام اندفاعها جنوبا، وقد قبل بعض من أهل يافع بدولة الأئمة مثل الشيخ على عبدالله بن هرهرة وغيره. أما يافع بني قاصد فلم يقبل أهلها بعد بدولة الأئمة.وبعد السيطرة على يافع انسحب بعض جنود الإمام إلى الحد شمال يافع، والبعض منهم عاد إلى رداع وذمار، وقد قام أهل يافع بثورتهم الأولى، بقيادة سلطان يافع بني قاصد معوضة بن عفيف.وأرسلت حملة عسكرية

كبيرة، بقيادة أحمد بن الحسن وجرت معارك بين الجانبين. وقد سمح أحمد بن الحسن للجنود باستباحة البلاد لمدة 5 أيام، وأمر بسحب كل الأسلحة التي مع الناس، ومن ضمنها الأسلحة البيضاء السكاكين والجنابي وغيرها،حتى أنه سمح فقط لكل عشرة بيوت بسكين للحلاقة والذباحة..! وقد قامت ثورة في الضالع والصُبيحة على الإمام.

بعد السيطرة على يافع والبيضاء أصبحت الطريق ممهدة لغزو حضرموت، وقد أعد الأئمة العدة لذلك، وحصلوا على العذر الذي كانوا ينتظرونه، وهو لجوء السلطان بدر بن عمر الكثيري إليهم. بعد أن خلعه إبن أخيه جعفر إبن عبدالله، وفي عام 1070 هجرية، بداء غزو جيش الإمام لحضرموت، وقد لاقى الجيش الإمامي صعوبة في التقدم إلى هناك بسبب بعدها وحرها وقلة المياه في طرقها. وبسبب مقاومة أبناء الجنوب لهم في طريقهم إلى هناك، وقد وقعت معارك بين جيوش الإمام وقوات السلطان بدر بن عبدالله الكثيري، في ريدة بامسدوس، والهجرين، وهينن وشبام، وقد إنهزمت جيوش السلطان وأهل حضرموت، وطلب سلطانها الأمان فأمنه أحمد بن الحسن، وأرسل السلطان إلى الإمام في ضوران آنس، حيث بقي هناك لبعض الوقت قبل عودته إلى حضرموت.

الفصل الرابع

الفـترة الثانيـة: حكم الأئمة لجنـوب وشـرق اليمن من عـام 1071 -1092 الموافق 1661-1681م

ذكر في حوادث عام 1070هجرية الموافق 1660م أن الإمام قام بضرب عملة جديدة اسمها الخمس الكبـار ((وتضـجر النـاس منها وأكـثروا غاية الإكثـار وارتفع بسـببها الصـوت (يقصد انزعـاج النـاس)وغلت الأسـعار))(1) أما ابن الـوزير فيقـول ان الإمـام أمر ((بضـرب الخمس الكبار فارتفع بسببها صرف القرش إلى مائة بقشة ثم إلى 3 أحرف وقَلَت القروش، ثم ضرب أحمد البقشة)) يقصد أحمد بن الحسن(2)

ما يهمنا من ذكر هذا الحادثة، هو أنها تدل على وجود أزمة اقتصادية كبيرة، عانت منها دولة الإمام إسماعيل والسبب الحروب. لأن الحروب تحتاج إلى أموال هائلة، للإنفاق على العساكر وشراء الأسلحة ورشوة ذا وإرضاء ذاك..الخ وهذه الأزمة تشبه الأزمات التي تقع في عصرنا الحاضر، حين تلجاء الحكومـــات إلى تخفيض قيمة العملة الحقيقي أحيانا قد يصل إلى عـــدة مرات قيمتها الأصلية. وذلك من أجل توفير بعض الأموال.والتي سببتها الحرب.
وقد كانت الدول في الماضي، تستخدم هذا الأسلوب وذلك بـأن تقوم بتخفيض وزن العملـة، أو بتقليل نقاوتها، المهم أنها تقـوم بتخفيض قيمتها الأصـلية، حـتى تتغلب على الأزمة المالية والاقتصـادية.والحـروب لا تهـدر الأمـوال فقط، بل الأرواح والممتلكـات، والدولة الـتي تحـارب تخسر المال والرجال فما بالنا بمن يقاوم تلك الدولة.

بالإضـافة إلى الحـرب، فالأمطـار الـتي تعتمد عليها الزراعة في اليمن لا تهطل بانتظـام، بل قد تكـون هنالك سـنة فيها خـير، وسـنة أخـرى أو عـدة سـنين فيها قليل من المطر والإنتـاج الزراعي.وبالتالي تقل العوائد التي تدخل خزينة الدولة.

---

(1) أبو طالب، مرجع سابق، ص 81
(2) ابن الوزير، مرجع سابق، ص 163-164

في هذا الفصل سنتناول الحكم الإمامي لجنوب اليمن وحضرموت من بعد غزوه والسيطرة عليه من قبل الأئمة، وكيف كانت الأحوال في هذه الفترة، ومن خلال ما لدينا من معلومات وهي مستقاه بالكامل من كتب مؤرخي الأئمة، وهي المراجع المتوفرة لدينا الآن على الأقل، لأن تلك الفترة للأسف لم يتم تناولها من قبل المؤرخين الحضارم وغيرهم حسب علمنا إلا بشكل يسير.وأحداثها ليست كثيرة لكن لها دلالاتها، وهذه هي المرحلة الثانية حسب التقسيم الذي اعتمدناه. إذ الفترة الأولى تشمل مرحلة الغزو والتوسع الإمامي. والثانية مرحلة الحكم، والثالثة هي مرحلة توازن القوى، وبداية استقلال الجنوب.وسنتناول هذه الحوادث حسب وقوعها تاريخيا وليس مكانيا.وحسب ما كتبه مؤرخو تلك الفترة.

حوادث في بلاد الفضلي 1071 هجرية الموافق 1661م

في جمادي الآخرة,أبريل قام أهل بلاد الفضلي وهي من أبين بقتل أربعة من عسكر الإمام، وقد طلب أحمد بن الحسن بديات أولائك العسكر، ثم لحق هذا الحادث قلاقل ومشاكل في بلاد الفضلي، ودثينة مما جعل أحمد بن الحسن يذهب إلى هناك لإصلاح الحال.(1) وقد ذكر أبوطالب أن هؤلاء العسكر من المترددين إلى أعماق اليمن، وربما أنهم من الجنود الذين تقوم السلطة بتنفيذهم على الناس أو ما شابه ذلك، ومهما يكن من أمر فهذا يدلنا على مقاومة أهل الجنوب للدولة الإمامية وعدم رضاهم على حكمها.(2)

وفي آخر هذا العام في شهر ذي القعدة,سبتمبر غزا عسكر أحمد بن الحسن بلاد الفضلي والجَيد، ولم يجدوا الجيد ووجدوا الفضلي، ثم افلت من أيديهم وفر إلى والي عدن أمير الدين العلفي فأمنه وأرسله إلى الإمام في ضوران. وقد وصل السلطان جعفر الكثيري والشيخ الفضلي إلى الإمام في آخر هذه السنة. (3)

---

(1) ابن الوزير، مرجع سابق، ص 173

(2) ابوطالب، مرجع سابق، ص 84

(3) ابن الوزير، مرجع سابق، ص 176-177

1072هجرية الموافق 1662 م

البرتغاليون يهاجمون عدن

وفي هذا العام أذن الإمام للشيخ عبدالله بن علي هرهرة بالعودة إلى بلاده بعد أن بقي في ضوران محجوزا أو مسجونا منذ عام 1066 هجرية، الموافق 1656م، حينما ثارت يافع على جيش الإمام.(1)

وفي هذا العام أتى البرتغاليين إلى عدن ورست فيها 3 سفن حربية لهم، وكان واليها زيد بن علي جحاف، وقد كانت بينه وبينهم حنة من العام الذي فات حيث عاملهم معاملة قاسية.وقد أمر جحاف جنوده بضربهم بالمدافع، وبمواجهتهم في عرض البحر ودبر البرتغاليين حيلة وهي ضرب مخزن البارود في أحد مراكب اليمنيين واحترق المركب، وقتل الكثير من اليمنيين وغرق غيرهم وأسر من تبقى، وأخذوهم إلى جوا بالهند.وقد بقيت سفن البرتغاليين في باب المندب بعد معركة عدن وأخذت الإتاوات من السفن المارة به للمسلمين وغيرهم، وقاموا بالقتل والسلب وهاجموا سفن الحضارم وأخذوها.وقد علم بالحادثة أحمد بن الحسن وهو بالغراس قرب صنعاء، والإمام كان في عمران، وأستأذنه للذهاب إلى عدن وعند وصوله كان البرتغاليين قد غادروا عدن إلى باب المندب.وأما الأسرى فبعد أخذهم إلى جوا بالهند أرسلوهم إلى البرتغال وبقوا في البحر 6 اشهر حتى وصلوا إلى هناك، وأيضا قال الاسراء أنهم مشوا سيرا على الأقدام 13 شهرا..!

هدية لملك الهند

وفي هذه الأثناء وعندما كان أحمد بن الحسن في عدن أرسل هدية من الخيول لملك الهند المغولي اوزنقريب، وأرسل له ملك الهند هدية مماثلة.(2)(3)

وهذا الهدية على ما يبدوا لها علاقة بما وقع في عدن وهي من أجل أن يقف ملك الهند بجانب اليمن والمسلمين ضد البرتغاليين.

---

(1) ابن الوزير، مرجع سابق ص 181

(2) المرجع السابق، ص 181-183

(3) أبو طالب، مرجع سابق، ص 86-87

الإمام يرسل عامل على ظفار حضرموت

وفي هذا العام 1079 هجرية، الموافق 1668، أرسل الإمام إلى حضرموت الشيخ زيد بن خليل عاملا للإمام على ظفار ومعه ولده، وأحد عبيد الإمام وهو الحاج عثمان بن زيد.(1)

العمانيون ينهبون البرتغاليين في عدن

في ذي القعدة قام العمانيون بساحل عدن، بمهاجمة 3 سفن للبرتغاليين واستولوا عليها، وقتلوا من البرتغاليين جماعة، وعجز نائب المخاء عن دفع العمانيين لكثرتهم حيث كان لديهم سبع سفن، وضعفت الحركة إلى ميناء عدن والمخاء بسبب هذه الحادثة.نرى هنا كيف تغير الموقف في البحر العربي،وأصبح البرتغاليين عرضة للهجوم عليهم من قبل العمانيين وغيرهم، بعدما كانوا سادة لهذا البحر طوال القرن السادس عشر..1500-1600م.

وفاة السلطان محمد بن بدر الكثيري

، في هذا العام توفى السلطان محمد بن بدر الكثيري، وهو الذي تولى السلطة بعد والده بدر بن عبدالله في عام 1075.(2)

بداية استقلال حضرموت ومقتل عدد من جنود الإمام

وفي هذا العام 1080هجرية الموافق 1670م، ثار أهل ظفار حضرموت على جيش الإمام هناك وقتلوا 27 شخصا من قواته ، وتم التضييق على إبن الشيخ زيد خليل عامل الإمام على ظفار، وطلب الشيخ زيد ولده من ظفار إلى الشحر حيث كان واليا عليها، وانسحبا من حضرموت، وقد أرسل الإمام مولاه (=عبده) لولاية ظفار هذا حصل عام 1079 هجرية الموافق 1669م، وتغلب آل الكثيري على ظفار وحضرموت، وعرض الإمام ولاية حضرموت وما إليها على ابن أخيه الحسين بن الحسن، ولم يقبل وأرسل الإمام ((أحد مقادمته فلم يتم أمر وامتنع حضرموت عن زيد وعمر، وأخرجت عنه عمال الإمام ولم يمكن في ذلك الحال غير تصديق المقالة بالإيهام فجعل الإمام الولاية لبعض بني الكثيري.)) (3)

(1) ابن الوزير، مرجع سابق، ص 250

(3) المرجع السابق، ص 251

(3) أبو طالب، مرجع سابق، ص 118

ويقول ابن الوزير

((وفي سلخ ذي الحجة(=أول) وصل إلى حضرة الإمام، ولاة ظفار وحضرموت، وفرغ الدست لملوكها آل كثير، ولم يبقى من ولاة الإمام غير الفقيه أمير الدين القرشي(العلفي) في الشحر فلما رأى الإمام أن الوقت لا يساعد على استئناف تخريج على تلك الأقطار النائية، صيرها في ولاية السلطان علي بن بدر فجعله في جبهتها غرة، وتناساها بالمرة)) (1)

من النص السابق ندرك، أن حضرموت قد استقلت مبكرا من الحكم الأمامي، ولم يبقى للإمام إلا قليل من النفوذ المعنوي. وهذا يعود إلى حكمة سلاطينها وأهلها وبعدها الجغرافي عن اليمن، وأية حملة عسكرية ترسل إلى هناك ستكلف الدولة الكثير، من المال والجهد والعناء، أكثر مما سيحصل عليه الأئمة من مثل هكذا حملة.وأيضا قد يؤدي مثل هذا العمل إلى قيام ثورات في أماكن أخرى من البلاد، لأن الإمامة لها كثيرا من الخصوم، والذين سيبادرون إلى التمرد، بمجرد ما يسمعون أن الدولة متورطة في حرب بمكان آخر.

البرتغاليين يأتون إلى المخاء ثم يهاجمون قلعة الفضلي في أبين

في هذا العام 1081هجرية الموافق 1670م، أتى البرتغاليين إلى المخاء بقصد مهاجمتها، والسبب خلاف بينهم وبين واليها جحاف على الرسوم، ولكن بسبب وجود قوات كثيرة للإمام فيها لم يفعلوا.وتحركوا من هناك باتجاه عدن ومن ثم إلى شقرة، وقد نزلوا من السفن وهاجموا قلعة الفضلي والتي ستكون في زنجبار أو شقرة، أو على ساحل البحر، حيث لم يذكر في أي مكان هي. ونزل من البرتغاليين 300 نفر، ومدوا السلالم واقتحموا القلعة، وقد فر بعض عساكر الإمام من القلعة والبعض قاتل وقتل وجرح البعض الآخر، وقد وصلت غارة من المخاء إلى القلعة وتم قتل عشرون نفرا من البرتغاليين، واجتزوا رؤوسهم، وهرب الباقين إلى سفنهم، خوفا من القتال في البر، لأن عددهم قليل ولن يستطيعوا مواجهة الجيوش الكثيرة والأهالي، لكن بقائهم بعيدا في عرض البحر يمنحهم الآمان ويستطيعون مهاجمة الشواطئ في أي وقت، وقد حاول البرتغاليون الهجوم ثانية لكن لم يستطيعوا، ولم يكن يوجد أي هدف بحري سهل، وقد ضربوا الميناء والذي لم يذكر أين ذلك الميناء بالمدفعية وحرقوا جانبا من قصر الإمارة.

---

(1) ابن الوزير، مرجع سابق، ص 262–263

وبعدها انسحب البرتغاليون وبقوا في البحر أربعة اشهر يقومون بالسلب والنهب، وعند مرورهم باتجاه عمان في مرساء بروم وهو مابين الشحر وأحور، لقي البرتغاليين تجارا من أهل الحساء وبينهم من عسكر سلطان عمان وحصلت معركة ولم يصب احد بأذى وانسحب البرتغاليون.(1)

وصول سلطان العوالق والواحدي إلى رداع ثم إلى ضوران

وفي هذا العام وصل إلى ضوران سلطان العوالق العلياء وسلطان الواحدي، فطالبهما الإمام بما حدث العام الماضي وانتهاب القافلة.وكان العولقي قد خرج في ألف شخص من مرافقيه، لكن السلطان الرصاص منعه من ذلك ولم يسمح له إلا بمرور مائة معه.(2)

يدلنا هذا الخبر على أن سلطان العوالق يريد أن يراه الإمام وهو مع ألف من رجاله. وأيضا عدم سماح السلطان الرصاص للعولقي بالمرور من أرضه بهذا العدد إلا مائة، معناه أنها كانت له سلطة على منطقته بجانب سلطة دولة الأئمة.

عودة رسول والي رداع بخفي حنين

وفي هذا العام عاد رسول الحسين بن الحسن، والي رداع والمشرق من حضرموت بعد أن قتل عدة أنفار من المرافقين للرسول، وربما أنه ذهب لاستلام الإتاوة السنوية ولم يحصل على طائل، حيث((قال لهم السلطان الكثيري البلاد بلادي ومحلي)).(3) (4)

الشيخ الجيد يغزو دثينة

وفي هذا العام غزا الشيخ الجيد دثينة وقتل اثنين من عسكر الإمام.(3)(4)

عامل الإمام القرشي يشكوا من تجريده من صلاحياته من قبل آل كثير.

في هذا السنة **1083** هجرية الموافق **1672**م وصل الخبر إلى الإمام في ضوران ان أمير الدين العلفي والذي عينه الإمام عاملا على الشحر، لم يعد له صلاحية وانه صالح سلاطين آل كثير. (5) قد ذكرنا فيما تقدم أنه قتل من عسكر الإمام 27 نفرا في حضرموت، وأنها بدأت تستقل، وفي هذا العام تم تجريد من تبقى من عمال الإمام من صلاحياتهم.

---

(1) أبو طالب، مرجع سابق، ص 120
(2) ابن الوزير، مرجع سابق، ص 271
(3) المرجع السابق، ص 274
(4) أبو طالب، مرجع سابق، ص 123
(5) ابن الوزير مرجع سابق، ص 288

أهل جبل صبر يمتنعون عن دفع الواجبات (الجزية) ويحذفون حي على خير العمل من الأذان

في ربيع أول من هذا العام، أتى بعض من مشائخ أهل جبل صبر إلى الإمام في ضوران يشكون من عاملها الشيخ راجح الآنسي، فلم يستمع إليهم الإمام، وعند عودتهم تجمعوا وتحالفت الحجرية معهم، ورفضوا دفع الواجبات (الجزية) وحذفوا حي على خير العمل من الأذان، وقاموا بقتل 3 من عسكر الإمام.وأرسلت حملة كبيرة لتأديبهم.(1)(2)

لقد كان استخدام (حي على خير العمل) في الأذان، جزاء من الطاعة والالتزام لدولة الأئمة،واستخدام هذه العبارة معناه الولاء لهذه الدولة، برغم مرور عشرات السنوات على الناس،وهم يستخدمونه لكن بدون ما يعتنقون مذهب الزيدية الهادوية.(3)

هجوم من أهل عُمان على عدن وسقطرة

في هذا العام 1085هجرية الموافق 1674م، هاجم العمانيون جزيرة سقطرة والتي كانت تتبع سلطان المهرة، وقتلوا بعض الناس، ومن هناك تحركوا إلى عدن وهاجموها، وقام أهل عدن وصيرة بمهاجمة العمانيين بالبنادق والمدافع، وقتل منهم نحو عشرين نفرا، وفروا من هناك باتجاه باب المندب، في أهبة وعساكر، ومنعوا الداخل والخارج منه، وطاردتهم جيوش الإمام حتى انسحبوا من هناك.(3)(4)

الإمام يرسل 300 من العساكر إلى حضرموت

وفي هذا العام وبعد حادثة سقطرة وعدن قام الإمام بإرسال 300 من الجنود إلى الشحر بحضرموت، لتعزيز جانب الدولة من أهل عمان حتى لا يهاجموها.مع أميرهم مولاه الحاج عثمان بن زيد.

ورسالة من سلطان عمان وعدم الرد عليها.وربما ان لها علاقة بما كان يجري في حضرموت.وعدم الرد عليها معناه ربما غضب الأمام من عمان.

---

(1) ابوطالب، مرجع سابق، ص 129

(2) ابن الوزير، مرجع سابق ص 288

(3) يذكر لي والدي رحمه الله،أن دولة الأئمة الأخيرة 1920-1962،أجبروا إمام الجامع في جُبن على قول ذلك في الأذان.

(4) المرجع السابق، ص 306

(5) أبوطالب، مرجع سابق، ص 135

زلازل في ضوران

زلازل تضرب ضوران والناس يقولون أن سببها الضرائب الزائدة المفروضة على أهل اليمن الأسفل.((وفيها اتفق بضوران خاصة أكثر من ثلاثين رجفة، وأرتاع لها الناس فوق الصفة، وظن مولانا محمد بن المتوكل أن سببها ما يؤخذ من أهل اليمن الأسفل زائد على الزكاة، ومثل مطلب الصلاة، ومطلب السياق، والرياح، ومطلب الرصاص والبارود من كل بلاد، ومثل سفرة الوالي، وضيفة العيدين، وغير ذلك مما هو مستمر إلى الآن، مثل جبلة والعدين، وللإمام في أخذ مثل هذا أوجه، وهو أعلم بالإجتهادات وأسباب النجاة والحمل على السلامة لا سيما بمثل المتوكل))(1)

ويقول ابن الوزير

((وقبل ذلك اتفق بضوران قريب من ثلاثين رجفة، قال بعض أقارب الإمام وكان قد تضاعف على أهل اليمن الأسفل مطالب غير الزكاة، والفطرة، والكفارة، مثل مطلب الصلاة على المصلي وغيره، ومطلب التنباق[التبغ] ومطلب الرباح [القرود] ومطلب الرصاص والبارود، ومطلب سفرة الوالي [طعام الوالي] ومطلب العيدين.)) (2)

من الفقرتين السابقتين يتبين لنا كم من الضرائب فرضت على الشوافع، والمؤرخين هنا لا يذكرون إلا اليمن الأسفل فحسب، لأنه المنطقة التي كانت خاضعة لهم بشكل كامل، أما المناطق الأخرى والتي كانت فيها مقاومة لهم، فلم يطبقوا مثل تلك الضرائب بشكل كامل بعد.والضرائب هذه والتي تبلغ ست ضرائب إضافية، شرعها الإمام إسماعيل بن القاسم وهي أكثر واكبر من الجزية.لأن الجزية كانت ضريبة واحدة أما هذه الضرائب فقد كثرت وكبرت.وتبين لنا الأزمة الاقتصادية التي كانت تعاني منها دولة الأئمة وكثرة النفقات. بسبب الحرب وتوسع الدولة الطبيعي وزيادة عدد المستفيدين منها.لأن الدول عندما تقوم تكون صغيرة وموظفوها قليل وتكون ميزانيتها قليلة وعندما تتوسع تكبر ميزانيتها والدولة في كل العصور عندما تزداد نفقاتها تقوم بزيادة الضرائب على الناس.وهي هنا زادت الضرائب على الناس في المنطقة الخصبة من اليمن، وهي منطقة إب وتعز وعتمة ووصاب وغيرها.تحت مسميات كثيرة، لتمريرها وتبريرها، أنها جزاء من الزكاة وما إلى ذلك.

---

(1) أبو طالب، مرجع سابق، ص 138

(2) ابن الوزير، مرجع سابق، ص 311

أهل الحجرية يثورون على الأئمة

وفي أول هـذا العـام **1086** هجرية الموافق **1675**م، ثـار أهل الحجرية على دولة الإمامة حيث قتلوا رسول الإمام، ووقعت حرب استمرت أربعة أيام، بقيادة محمد أحمد بن الحسن قتل على أثرها أربعة من جنـود الإمـام وعـددا من الأهـالي.(1)(2) لقد كـان أهل الحجرية يقـاومون الدولة كلما سـنحت الفرصة لـذلك، والسـبب الجـور والظلم.ولكن لم يكن لـدى أهل الحجرية العصبية القوية اللازمة لإزاحة دولة الأئمة من منطقتهم.

وفاة الإمام إسماعيل

في **5** جمادي الآخرة**1087** هجرية، الموافق **14** أغسطس **1676**م

تـوفى الإمـام إسـماعيل بن القاسم عن عمر **68** عامـا، وحكم **33** عامـا.وقد دفن في جبل الدامغ بضوران آنس.

ومما أوصى به أولاده وعشيرته الأتي:((وأوصيكم أيها الأولاد، ذكركم وإناثكم، وسائر قرابـتي وسـائر بـني هاشم، أن تجتنبـوا الزكـوات، ولا تـأكلوا منها شيئا ولو أكلتم الشـجر، فإن الـذي خلقكم هو الـذي يـرزقكم، ولا تفعلـوا مثلما يفعل كثير من النـاس، من التمسك بالشبه في ذلك، وابتغوا من فضل الله ولا يحملكم الثقل بالسكون في البيوت على ذلك، فاطلبوا الرزق من فضل الله وتنقلـوا، ولا تتخـذوا السـؤال حرفة فبئست الحرفة هي، وأنها معينة على الفقـر، ولكن أطلبـوا الـرزق الحلال وإحيـاء الأمـوال، وإن أمكن أن تجعلـوا لكم نوابا في الـبيع والشـراء فهو حسن نـافع، وإن لم يمكن إلا بأنفسكم فـافعلوا، فلأن يـؤجر أحدكم نفسه خـير لـه من الحـرام))
الإمـام إسـماعيل في هذا الكلام ينـاقض نفسه بنفسه كيف لـه ان يـدعي أهله وبـني هاشم أن لا يأكلون الزكـوات، ولمـاذا فرض الضرائب الكثيرة على الشـوافع..؟؟ ودولة الأئمة كـانت قائمة على ما تجبية من ضـرائب وزكـوات، مثلها مثل غيرها من الـدول الـتي سـبقتها، وقد أضـافت ضرائب لم تكون موجودة من قبل أبدا.وحملت الرعايا فوق طـاقتهم،أنظر الصفحة السـابقة من هذا الكتاب،وفيها ذكر لنوع تلك الضرائب. كلامه هذا يطرح كثيرا من الأسئلة.(3)

---

(1) أبو طالب، مرجع سابق، ص **141**

(2) ابن الوزير، مرجع سابق، ص **315**

(3) ابن الوزير، مرجع سابق ص **323-325**

أحمد بن الحسن يتولى الإمامة بعد الإمام إسماعيل

بعد وفاة الإمام إسماعيل تولى الإمامة بعده، إبن أخيه أحمد بن الحسن ولقب نفسه بالمهدي، وقد أتخذ من الغراس في حصن ذي مرمر قرب صنعاء عاصمة له، ربما لأنه رجل عسكري، وقد ادعى الإمامة عددا من أهل بيت القاسم ومن غيرهم أربعة 1.القاسم بن المؤيد محمد بن القاسم ولقب نفسه المنصور2.والحسين بن الحسن (شقيق أحمد بن الحسن)ولقب نفسه بالواثق 3.محمد بن عبدالله بن الإمام القاسم ومن غيرهم 4.السيد احمد بن إبراهيم بن محمد حورية.

وحصلت بين الإمام الجديد وهؤلاء حروب وفتن ومشاكل استمرت لوقت، وقد كان أكبر المنافسين للإمام الجديد هو القاسم بن الإمام المؤيد بن محمد بن القاسم(ابن عم أحمد بن الحسن) وقد وقعت بينهم عدة معارك دموية.وفي الأخير تولى السلطة أحمد بن الحسن.(1، 2) وقد كثرت الفتن بين الناس وبين الدولة والقبائل وبدأت دولة الأئمة تتدهور، وقد كان المعارضين للإمام إسماعيل قليلا، وهم الآن أكثر وبعد هذا الإمام سيكونون أكثر وهكذا..وما يهمنا من صراعهم هو علاقته بثورة السلطنات ضدهم ومن أراد الاستزادة من أخبار تلك المرحلة عليه العودة إلى كتب تاريخ تلك الفترة.

وباء قاتل في اليمن الأسفل

وفي هذا العام 1088 هجرية 1677م، حصل وباء قاتل في اليمن الأسفل حيث خلت قرى من أهلها.(3) لم يذكروا نوع هذا الوباء، لقد كانت تقع أوبئة تقتل أحيانا مئات وأحيانا ألوف، وهذا من الأسباب التي جعلت السكان في العصور القديمة لا يتكاثرون.

إجلاء اليهود إلى موزع ثم السماح لهم بالعودة

وفي شعبان من هذا العام أمر الإمام المهدي واليه على صنعاء محمد بن المتوكل أن يقوم بإجلاء اليهود من اليمن وهدم معابدهم، (4)وموضوع بقاء اليهود والنصارى في جزيرة العرب موضوع خلافي بين العلماء.

---

(1)ابن الوزير، مرجع سابق، ص 326

(2) أبو طالب، مرجع سابق ص 162

(3)المرجع السابق، ص 170

(4)ابن الوزير، مرجع سابق ص 352

ولم تقم أية حكومة في الألف العام التي سبقت هذا الحادث بإجلاء اليهود من اليمن، ولكن يبدوا أن هذا الإمام أراد الظهور بمظهر الإمام المجتهد، والقادر على الخوض في قضية فقهية وسياسية شائكة.

والسبب أن معارضيه ممن كانوا قد عابوا عليه عدم أهليته للاجتهاد، وهو فعلا كذلك إذ كان رجلا عسكريا وربما أن مؤهلاته من الدين هي القدرة على إلقاء خطبة جمعة. ويرجع أيضا إلى مزاجية هذا الإمام، وتعصب الزيدية الهادوية، إذ أن اليهود قبل هذه الحادثة لم تذكر كتب التاريخ أنهم عملوا شيئا خطاء، يستحق أن تقوم الدولة بطردهم وتشريدهم ومصادرة ممتلكاتهم، وهدم معابدهم، ومعروف أن قتل النفس وتعذيبها وإهانتها وهدم المعابد عملا يخالف تعاليم الإسلام، والتي لم تكن غريبة في ذلك الحين.ما نقصده أننا لا نحاكم فعلا أحمد بن الحسن بمعايير عصرنا بل بمعايير ذلك العصر.

إيرادنا لهذا الحادثة هو لكي يعرف القارئ الكريم الجو السياسي السائد في ذلك العصر، وكيف كان الأئمة يتصرفون، وكيف كان التعايش الديني والمذهبي، وهذا الإمام هو من وصف الشوافع أنهم كفار تأويل، والقصد بذلك أنهم لا يحصرون الإمامة في الأشراف من نسل الحسن والحسين، بل فيمن تتوفر فيه مؤهلات الإمامة.المهم أن دولة الأئمة كانت دولة متعصبة دينيا وطائفيا.

وهذه الحادثة يذكر ابن الوزير أنها وقعت في شهر شعبان من عام 1088هجرية الموافق 1677م بينما يقول أبو طالب أنها وقعت في عام 1090 هجرية، الموافق 1679م ولا ندري التاريخ المؤكد فعلا لان كليهما ناقل عن مؤرخين سبقوهم، إذ أن ابن الوزير وأبو طالب عاشا في القرن الحادي عشر.ولكنهما كانا قريبين عهد بتلك الأحداث.

قلاقل في يافع

وفي هذا العام 1091 هجرية وقعت قلاقل في يافع، وأراد الإمام التجهيز ولكن كانت هناك معوقات وصعوبات، ولم تذكر تلك المعوقات، أو الصعوبات.

وفاة الإمام احمد بن الحسن في 22 جمادي الآخرة 1092 الموافق 8 يوليو 1681م عن 62 عاما من عمره.

قبل وفاة الإمام كان في حملة عسكرية على بلاد حرف سفيان من بلاد قبائل بكيل وقد استخدم الشدة والعنف ضدهم، وقيل أنه أصيب بطلقة في فخذه، وأدت هذه الإصابة إلى وفاته فيما بعد.ويعتبر هذا الإمام أول إمام يشارك في المعارك بنفسه حتى وهو إمام.ولم يمت إلا والدولة الإمامية قد بدأت تتدهور بشكل متسارع، وهي عند خلفه أضعف مما كانت عليه في أيامه. وقد دخل الوضع في جنوب اليمن مرحلة أخرى سنتناولها في الفصل الأتي.

خاتمة الفصل الرابع

في هذا الفصل تناولنا فترة حكم الأئمة لجنوب وشرق اليمن والتي تمتد من عام 1070-1092هجرية، في هذه الفترة تعرضت دولة الأئمة لأزمة اقتصادية نتيجة للحرب وازدياد النفقات، وقد تم سك عملة جديدة لمواجهة هذا الوضع.وقد جرت معارك بين جيش الأئمة وأهل أبين في بلاد الفضلي ودثينة، في عام 1071هجرية. وفي عام 1072هجرية هاجم البرتغاليين عدن من عرض البحر، وتم أسر بعض اليمنيين من قبلهم وغرق بعض سفنهم، وتوفى عام 1075هجرية السلطان محمد بن بدر الكثيري، وهو الذي تولى السلطنة بعد والده بدر بن عبدالله الكثيري، وفي عام 1079هجرية ثار أهل ظفار حضرموت، وقتلوا عددا من جنود الإمام، وضايقوا عماله وتغلب آل الكثيري على حضرموت وظفار، ويعتبر ذلك بداية لاستقلال حضرموت عن دولة الأئمة، وفي هذه الأثناء قام سلطان الواحدي بزيارة الإمام إلى ضوران آنس. وأهل جبل صبر في تعز يرفضون دفع الجزية ويحذفون ()حي على خير العمل من الأذان)) وفي عام 1085 أرسل الإمام 300 عسكري إلى حضرموت لتقوية نفوذ دولة الأئمة هناك.وقد وقع زلزال في ضوران آنس في العام 1085 هجرية وحصل جدل بشأنه أنه قد يكون بسبب الجزية والضرائب الكبيرة المفروضة على أهل اليمن الأسفل.وفي العام 1087 هجرية توفى الإمام إسماعيل بن القاسم في ضوران آنس ودفن هناك، وتولى الإمامة بعده إبن أخيه أحمد بن الحسن، وقد حصل في هذه الفترة وباء قاتل في اليمن الأسفل، وأصدر الإمام الجديد فتوى وأمر بإجلاء اليهود من اليمن عام 1088 هجرية في العام التالي لحكمه، وهذا الأمر لم يسبق ان قام بها أي من حكام أو ملوك اليمن من قبل، وقد تم السماح لهم بالعودة إلى بعض المناطق في اليمن، بسبب الحاجة لهم.

وقد وقعت بعض القلاقل في يافع في تلك الفترة.

الفصل الخامس:الفترة الثانية 1092_1101 هجرية

فترة توازن القوى واستقلال بعض المناطق.

تعتبر هذه الفترة من أهم الفترات في تاريخ جنوب اليمن، حيث تحولت موازين القوى بين الجانبين، لأسباب ترجع إلى أن سكان الجنوب، صمموا على مواجهة حكم الأئمة والعمل من اجل الاستقلال مهما كلفهم ذلك، وهذا ماحصل، وهنالك عامل مساعد آخر، هو تلاشي الصورة الوردية للدولة الزيدية الهادوية، عند أتباعها وعند غيرهم، لأن أية دولة استبدادية عندما تقوم يكون لها شعبية، وهالة تحفها قد تكون صحيحة وقد تكون خاطئة، وبعد مدة تتلاشى تلك الصورة، وتنطبع في أذهان الناس الصورة الحقيقية لها، صورة المظالم والفساد وغيرها.

الإمام المؤيد محمد بن إسماعيل يتولى الإمامة بعد احمد بن الحسن

بعد وفاة المهدي أحمد بن الحسن، في شهر جمادي الآخرة عام 1092 هجرية، كان المؤيد محمد بن الإمام إسماعيل هو الشخص الأكثر قبولا عند الناس، وعند أهل الحَل والعَقد، وقد عارضه عددا من أهل بيت القاسم مثل والي رداع الحسين بن الحسن، ومحمد أحمد بن الحسن، والقاسم بن المؤيد، وعلي أحمد بن القاسم، وعلي بن المتوكل.(أخ الإمام المؤيد) (1) وموت أحمد بن الحسن يعتبر خسارة كبيرة، لدولة الأئمة إذ أنه واحد ممن أسس ودعم بنيان هذه الدولة ، وقد كان قائدا عسكريا محنكا ومقداما وكريما،وحركيا، إذ كان يشارك في كل المعارك التي تقع بنفسه،وقد رأينا كيف شارك في كل العمليات العسكرية التي وقعت، عند غزو الجنوب، من عدن إلى البيضاء ويافع وحضرموت، وغيرها.وهذه مشكلة الدول التي تقوم على القوة العسكرية، أنها تنهار عندما يموت المؤسسون، لأنها قامت على القوة. ومعروف أن القوة لوحدها لا يمكنها بناء دولة، بدون الأسس الأخرى لقيام الدول.

نضوج أبناء جنوب اليمن

بعد وفاة الإمام المهدي، كان جنوب اليمن قد بلغ السخط فيه حد الغليان، وقد شاهدنا في الفصل السابق، كيف أن أهل الجنوب، لم يقبلوا حكم الأئمة وضلوا يقاومونه بما لديهم من قوة.

---

(1) أبو طالب، مرجع سابق، ص 180

ولم تكن تلك إلا اللحظة التاريخية والـــوقت المناسب للثـــورة، وســـاعة التغيـــير النفسي والوجداني، الـتي تـراكمت بفعل حكم الأئمة لجنوب اليمن، خلال العشرين العام الـتي انقضت، وبعض المنـاطق في حضرموت قد أصبحت مستقلة فعلا، ولم يعد للأئمة هنـاك نفوذا يذكر.إلا من بقايا عسـاكر كـانوا تحت إمـرة سـلاطين آل كثـير.وقد بـداء اسـتقلال حضـرموت منذ عـام 1080 هجريــة، أيـام الإمــام إسـماعيل بن القاسـم، ولكن الحضـارم كـانوا يعارضـون الأئمة بالسياسة أكــثر من المقاومة المســلحة، لقد كــانوا يتصــرفون بطــرق هي في غاية الحكمة والدهاء السياسي.

بداية العصيان والثورة على دولة الأئمة

وفي هذا العام بعد وفاة المهدي، أرسل والي رداع والمشرق الحسين بن الحسن، رسالة إلى الإمام يبلغه أن بلاد المشرق ثاروا على الدولة، وأن المشكلة كبيرة وأتاه البلاغ وهو بالسودة بالقرب من عمران، وبكلام أبوطـالب((ولما أطبق بالمشرق الخلاف، وتغلق بـاب الإتلاف، ورد كتاب الحسين بن الحسن إلى المؤيد بالله وهو بالسودة، يعلمه عما نجم وحقر الأمر وصـغره، في كتابه وجمجم، والخـبر جـاء إلى المؤيد يعلن بعظم الحاصـل، وامتنــاع السـائر وانقطــاع الواصل)) (1)ومعنى هذا قيام ثورة شاملة ابتدأت أولا بعدم دفع الجزيـة، وعدم التعاون مع عسكر الأئمة هناك.(أو ما يسمى الآن العصيان المدني)

أهل الحجرية يثورون على دولة الأئمة

وفي هذا العام ثـار أهل الحجرية على قوات الأئمة الموجودة هنـاك، وحاصروها وكـان قائدها هو محمد أحمد بن الحسن، وقد أرسلت لهم قوات على الفور من لدن الإمـام وتم فك الحصـار عنهـا، وقد قـررا لإمـام أن يفك حصـار أهل تعز قبل ما يرسل قـوات إلى جنـوب اليمن لإخمـاد الثورة هناك.)2)

بداية الثورة الحقيقية

وفي هـذا العـام 1093هجريــة،الموافق 1682م، أعلن أبنـاء جنـوب اليمن الثـورة على دولة الأئمة، وفي هذا يقول المؤرخ أبو طالب:

---

(1)أبو طالب، مرجع سابق ص 182

(2) أبو طالب، مرجع سابق ص 183-184

((وفيها وفد على مولانا على بن المتوكل على الله، إلى أخيه المؤيد بضـــوران من أجل الخوض في موجبات قتال أهل المشرق، وأداء ما يجب من الزيادة في هذا الأوان، وكان أهب ما يحتاج إليه في التجهيز، واختار من يوجهه نائبا عنه بعد العرض عليه، وعيد بالحضرة الإمام وقال أحمد بن أحمد الآنسي، في التحريض على الجهاد وبحضرته هذا النظام شعرا:

نفوس الأعادي أن منها وعيدها=======فحق على البيض المواضي تعودها

إذا لم تذق البيض صدا جفونها======= فلا غمضت يوما وفيهن سودها

ألا اصلتوها للجهاد صوارما========= فإن رقاب المارقين عمودها

لئن عصفت ريح النكال بيافع========= فما هي إلا عادها وثمودها

بني القاسم المنصور عزما على العدى====فقد بان للدين الحنيف جحودها

لكم همم تعلو السماك تطاولا ========فلما طال عن هذا الجهاد قعودها

أفي جانب الإنصاف أن معوضة======= تهان به من ذي الأنام زيودها

وللمذهب الزيدي كل غَضَنفر=========يفل به عند الحروب عديدها

أرى ابن عفيف رام مادون نيله=======حمام تحامها من الصيد صيدها

ألم يكفه ما نال من الردى =========وأقوامه ما نال قدما جدودها

ألم تذكروا في ((مسجد النور))منهم ====رؤوسا إلى يوم المعاد سجودها

لقد سقيت أرض المشارق منهم=======نجيعا وغصت بالسراحين بيدها(الذئاب)

أعدها أمير المؤمن عليهم========= فقد وجبت تلك الحروب تعيدها

وصل ببني المنصور أسيافك الأولى====خطوب الردى منهم تحل عقودها

ولا سيف إلا ذو الفقار فإنه ========= بكف علي للأعادي يبيدها

وهذا علي بل وأنت محمد=========خلافتك الغراء وأنت عمودها

همام ولو رام الثريا بعزمه======== لدان له قبل اهتمام بعيدها

لديه من الفرسان كل مدرع========وخيل جياد ليس ينجو طريدها

ويا حبذا الملك الحسين فإنه======== عهيد المعالي والفخار عميدها

هزبر تحامه الملوك لبطشه=========وتعنوا له عند الحروب أسودها

ودمتم بني المنصور في خير نعمة=====من الله تترى طالعات سعودها))(1)

(1) أبو طالب، مرجع سابق ص 186-187

أوردنا هذه القصيدة بكاملها لأنها تعكس تفكير الأئمة وأتباعهم، وهم يرون أهل الجنوب ليس إلا أناس مارقين وخارجين عن الدين، ويجب استخدام القوة والعنف بكل صورهما ضدهم.ونجد المبالغة فيها حيث يصف الإمام في البيت 16 أنه يشبه النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وأخ الإمام علي، أنه يشبه الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.والشاعر هنا يقصد أن قتالهم لأهل المشرق هو جهاد في سبيل الله.بل إن هذا التهييج العاطفي والطائفي ربما كان من الأسباب التي أدت لبعض الانتصارات، وفيما بعد أدت للهزائم.

الإمام يعد العدة للهجوم على مناطق البيضاء ويافع

وحريق في ثكنة لعسكر الإمام يقتل 400 منهم.

في هذا العام 1094 هجرية الموافق 1683م، لم يكن للإمام من شغل شاغل غير حرب يافع وأهل المشرق، لإخماد ثورتهم وإجبارهم على الخضوع لدولة الأئمة، وقد عين قائدا للجيوش الحسين بن أحمد بن الحسن، وقد أتى صاحب كوكبان بخيل ورجال، والحسين بن محمد بن أحمد بن القاسم بحاشد وبكيل، وقد تقدم الحسين بن إسماعيل ووصل إلى الزهراء شرق السوادية، وحصل حريق في الثكنة التي يسكن فيها الجند وقتل أربع مائة من عسكر الإمام، وقد حرق في هذا الحادث قائد الحملة وهو الحسين بن الأمام. وكان سبب الحريق هو اشتعال مخزن البارود والذي يقع بالقرب من الثكنة، وكان حريقه كما قيل هو أن وضع شخص نيرانا في ذيل هرة وعند هربها مرت على مخزن البارود حيث احترق.(1)

ونحن نعتقد ان الحريق ربما جرى بفعل فاعل من الثوار المعارضين لدولة الأئمة، لأنه لايمكن لمحل بارود ان يبقى بدون حراسة، وبدون إغلاق محكم من دخول وخروج حيوانات إليه.أو قد تكون القطة هي السبب، ومعنى ذلك أن أحد عسكر الإمام أو جماعة منهم فعل ذلك. بسبب عدم رغبتهم في القتال، أو بسبب أنه أسئ إلى أحد منهم، وقام بالانتقام بإحراق مخزن البارود.والذي أدى إلى مقتل هذا العدد الكبير من جيش الإمام.ومعروف أنها تقع في المعسكرات احتكاكات ومشاحنات بين الجنود ومسئوليهم بعضهم البعض. وقد كان هذا الحادث نذير شؤم وبداية لانهيار دولة الأئمة في الجنوب.

---

(1) أبوطالب، مرجع سابق ص 188

الإمـام يسـتبدل على بن إسـماعيل لقيـادة الحملة بـدلا عن الحسـين الـذي احترق

وقد تم تعيين علي بن إسماعيل قائدا للحملة بدلا من الحسين بن الإمام، وتم تعيين قادة بدل الـذين احـترقوا في الزهـرا، وكـان علي بن إسـماعيل في قعطبـة، وحضر إلى رداع، واجتمعت العساكر واتجهت نحو البيضاء ومن ثم إلى يافع.(1)

البدء بالهجوم على يافع وهزيمة جيوش الإمام في جبل العُرْ

وهذا ما يقوله أبوطالب((أمر الإمام بدعا البغاة ولا يخاطبوا بخداع، فأصروا على الامتنـاع، وكشـفوا عن وجه عصـيانهم القنـاع، فنهـدت إلى عقر دارهم، وحصل بـادرة رأي بعض الحاضرين في بدارهم، وكـان الـرأي الثـاني حتى يعرف المدخل والمخـرج ويتنسم من إعمال الرأي طيب الأرج، وربما حصل بعض سهو عن وصاة الإمام ورأي الشاهد مالم يرى الغائب في الاهتمام واتفق جلاد ليس بالهزل وانعزل قوم وأقبح العزل، فأذنت أفواه الجراح بالأذان وصلت السيوف بمحراب الطعان وجرى النجيع الفان وخرت الهام عن الأذقان، فتنضدت الغبراء بالرؤوس تنضيد، واستبق الكفاة شوقا إلى الجنة الخضراء من أهل العدل والتوحيد، فأثخن الجراح وتكسرت السيوف بأيدي الفريقين، وذهبت من النفوس جملة من الطريقين فهؤلاء إلى الجنة مع الأبرار، وأولئك في الدرك الأسفل من النار، وانجلى الأمر عن هزيمة أولي الحق وكـان شـهد الحق جمع كثـير كـادت الآفـاق تلبس من الحـزن له الحـداد، وفـاز بالشـهادة ذلك اليـوم السيد المجاهد، سلالة الخلفاء الأماجد العابر من ربوع المجد للمعاهد، الدالة على سعادته بالشواهد، شمس الإسلام أحمد بن محمد بن الحسين بن الأمام القاسم، ماجد أبرز بالأقدام وارتدى واعتجر ولقب لشجاعته، وصمته كما أشرت إليه بالحجر آنفا، صبر في ذلك المكان المارق وقد طاش الجنان وذعر، وما برح يكرر الحملات حتى أصيب ودفن جثمانه بالعُر، وأشار إلى كفأته الحسين بن عبد القادر، وكان ممن ضمه الجمع ورجع في المنهزمة قريح القلب مهمل الدمع، فقال:

وددت مصرع مولانا الصفي ولام ==== الرجوع في سلك قوم بعد ما كسروا

وصرت انشد من كرب ومن آسف=====ما أطيب العيش لو أن الفتى حجر(2)

---

(1) أبو طالب، مرجع سابق ص 188

(2) المرجع السابق، ص 189

وأصيب في ذلك اليوم علي بن أحمد بن القاسم برصاصة في يده مازال ألمها يتعهده حتى فت من عضده وتوفي في سنة 1124 هجرية، (الموافق 1712م) من ذلك الأثر، ولما خلصت المعركة عن هذا القارح والملم الفادح، انتهب البغاة الثقل وصارت الجموع إلى الإمام ومازال التوبيخ لهم في المواقف بعدم امتثال الرأي، وأما الحسين بن الإمام المهدي أمير السرية فبعد هذه القضية، راح قافلا إلى تعز العدنية حنقا من الأمراء بعدم الامتثال، وأقسم ان لا يبرح عن تعز حتى يوافيه الموت، وبها أقام يستعد الكرة عليهم، ويستنهض الأجناد وآنف أن يلاقي الإمام على ذلك الحال، ويالك من غشمشم لو وجد المجال وكان تاموره أن لا يرجع إلى الدار حتى يأخذ بالثأر، ويستأصل أرض بني عفيف بالركض المثار، أو يموت فيستريح من السعي بذلك المضمار، ولبث في تعز برهة من الزمان والكمد يعمل فيه للإنهزام ومابرح في المجاهدة، وإعداد ما يحتاج إليه حتى ذاق الموت الزؤام)) (1)

مواصلة الاقتباس

((وفي سنة 1095 كان مولانا الحسين بن المهدي في تعز على ذلك الحال يراعي الحد للكرة فما أدال الدهر ولا استحال فوافى به أجله، وعند ابن العفيف ذلك الدين، فشقت المكارم عليه جيوبها، ولطمت خدود المعالي باليدين فسال عليه للمجد دمع العين، واحمر الأفق وتضرجت الأكناف، وفي أمثالهم هلاك اليمن بالأحمرين(هما الذهب والعصفر إشارة إلى الحديث ((ويل للنساء من الأحمر من الذهب والفضة)) فصار بتعز غريبا فقيدا وغير بعيد أن يكون شهيدا، فقد روي بعض السادة ما يومي إلى ذلك، ولمح في بعض المألك، وكانت وفاته يوم الجمعة غرة شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة، فألبس الأفق حداد عليه وقبل وصول الخبر بليلة إلى الغراس انخزلت قطعة من جبل ذي مرمر هائلة أخذت روعا من الناس، وحصل الابلاس والأيآس ومع هويها ضن أنها لا تبقي ولا تذر فسلم الله منها ببركة المهدي، وتعقبها أيضا انخزلت قطعة ثانية هلك بها أبواب ذي مرمر.(2)

ودفن الحسين بموضع ملاصق ضريح الإمام إبراهيم بن تاج الدين(3) وهو من أئمة الآل الكرام الميامين وكلا الرجلين من أهل الكرامات الباهرة ورجال الدنيا والآخرة.)) (4)

---

(1) أبوطالب، مرجع سابق ص 189

(2) المرجع، السابق ص 190

(3) هو الإمام المهدي إبراهيم بدر الدين وأسره الملك المظفر سنة 674 وتوفي بتعز في سنة 683 إتحاف المهتدين ص 62)

(4) المرجع السابق، ص 190

هذه أول معركة رئيسية يخسرها الأئمة في جنوب اليمن، وقد هزموا هزيمة قاسية، وقتل أحد قادة الحملة وهو أحمد بن محمد بن الحسين بن الأمام القاسم ودفن بالعُرْ، مما يدل على أن الحملة لم تصل إلى يافع بل وقعت في أطرافها العليا قرب البيضاء، وسنشاهد المعركة القادمة أنها قد جرت في مكان يبعد عن هذا المكان بحوالي 40 كم شمالا، وهي بداية النهاية لحكم الأئمة لجنوب اليمن.

وقد أصيب في هذه الحرب علي بن احمد بن القاسم، برصاصة في يده إصابته إصابة ضلت معه حتى مات من أثرها عام 1124 هجرية، حسب كلام المؤرخ. ومقتل هذا القائد وإصابة الثاني، وروع قائدهم الحسين بن أحمد بن الحسن، وأصابته بصدمة نفسية هائلة، يدل على ضراوة المعارك، وعلى الهزيمة المادية والمعنوية التي منيت بها جيوش الأئمة، لأن القادة لا يقتلون إلا بعد مقتل جنودهم، ولا يذكر المؤرخ تفاصيل عن عدد القتلى من الجانبين، مثلما كانوا يفعلون في المعارك السابقة، ولكن على ما يبدوا أن القتلى من جانب عسكر الإمام كان كثيرا جدا والسبب أنهم مهاجمين،وقد هزموا، وأهل يافع والبيضاء كانوا مدافعين ومستعدين لهم استعدادا جيدا وفي بلادهم، ومقتل قادة الجيش الإمامي يدل على ذلك.

أسباب انهيار قائد الجيش الحسين أحمد بن الحسن

أما ما حصل للحسين بن الإمام المهدي أحمد بن الحسن، فيمكن إرجاع السبب أن حساباته كانت خاطئة، ولم نسمع من قبل انه خاض معركة حربية، وربما انه كان مندفعا مثل والده في وقت قد تغيرت أحواله، وناسه وموازين قواه، وهو يظن أن أهل يافع والبيضاء لازالوا مثلما كانوا منذ 27 عاما عندما غزاها والده، والأحوال قد تغيرت بالطبع والناس قد كرهت دولة الأئمة، واستعدوا للمنازلة.والسبب الثاني:انه عندما رأى الهزيمة تحصل له ولجيشه و لأول مرة، ورأى قادة جيشه وجنوده تقتل من أناس فقراء ومعدمين كان يحتقرهم، سبب له ذلك صدمة نفسية قوية لم يستطيع امتصاصها، وقد أفقدته عقله وصوابه وعاش عاما آخر وحيدا مهزوما نفسيا، حتى وافاه الآجل.وهذه من علامات الغرور والكبر والاعتداد بالنفس المبالغ فيه، ومعروف أن الحروب سجال يوما لك ويوما عليك، وإذا كان والده قد هَزَم أهل يافع البسطاء والفقراء مرات قبل 27 عاما فعليه أن يتجرع من الكأس التي سقى والده منها خصومة، والحياة هكذا. ويوما لك ويوما عليك.والحروب سجال كما يقال وكما يثبت لنا التاريخ، ومن أنتصر أو حكم اليوم قد يهزم أو يحكم غيره يوم غدا.

أما أســباب هزيمة جيــوش الإمــام في هــذه المعركة فيمكن تلخيصــها للأسباب التالية:

1.الدولة بدأت تضعف، وكثر المتنافسين على السلطة،على كل مستوياتها الإدارية في أعلاها ووسطها وأدناها.وهذه المنافسة أساسا بين بني القاسم والذي كان يوجد منهم إمام قبل 60 عامـا، والآن أصـبحوا بالعشـرات وكل واحد يريد أن يكـون له منطقة إقطاعا له أو يكـون له منصب رفيـع. وقد وصل الحـال ببعض الـولاه إلى حد قيـامهم بضـرب عملات خاصة بهم،أي تزوير العملة الرسمية وذلك بتقليل نقاوتها والاستفادة من فـارق سـعره الزيف إلى الأصـلي..! وهذا كارثة على اقتصاد أية دولة .

وهـذا هو الجيل الثـالث من بيت القاسـم،أي أحفـاد الجد المؤسـس،ومعـروف أن الـدول يقيمها الجيل الأول ويأتي الجيل الثاني ويضيف إلى ما عمله الأولون أو على الأقل يحافظون عليـه،ثم يـأتي الجيل الثـالث والـذي قد لا يسـتطيع المحافظة على ما عمله الجيل الأول والثـاني.بسـبب تغـير الأحـوال والـنزاع الـداخلي، والـترف الـذي يقع بسـبب العيش في كنف السـلطة و الجـاه وتوفر المال.

2. لم يتم الإعداد لهذه الحملة العسكرية الإعداد الكـافي،ولم تكن الدولة بقـادرة على الإنفـاق على حملة عسكرية كبيرة،مثلما كـانت تفعل من قبل ،لأنها تحتـا ج إلى أمـوال هائلة والدولة لم تكن لـديها تلك الأمـوال.وقد ازدادت نفقاتها بسـبب النمو الطـبيعي للـدول، وما كـان ممكنا قبل عشرين عاما لم يعد كذلك الآن.

3.كانت صورة الخصم في أذهان الإمام وقادة جيشه وجنوده في أغلب الأحيان خاطئـة، إذ يتم تصوير الخصوم خاصة الشـافعية منهم على أنهم خـارجين على الـدين،وأنهم أنـاس جفـاة حفـاة بغاة، لا يلـتزمون بالـدين، ولا القيم، وأن هزيمتهم وتـأديبهم أمـرا سـهلا،ويجب استخدام القوة ضـدهم.ولا يجب تفهم سـبب ثـورتهم على دولـة الأئمة وهـذا من الأخطـاء الـتي ترتكبها الـدول قديما وحديثا.

4.الأحـوال تغيرت خلال 30 عاما من حكم الأئمة لتلك المنـاطق، وقد رأى النـاس حكمهم رأي العين، ولم يعد عند أبناء جنوب اليمن أدنى شك، أن دولـة الأئمة لا تصلح لهم، وهـذا هو سـبب استبســالهم في الــدفاع عن بلادهم والعمل على تحريرها من حكم الأئمة.والعامل الأخــير هو العامل الحاسم والـرئيس في تحديد مصـير هـذه المعركة والمعـارك الـتي سـتأتي.وأهل يـافع والمشرق لم يكونوا راضين عن دولـة الأئمة حين أتت، أما الآن فلا أحد يريدها بالمرة.

وفي هذا العام 1096 هجرية الموافق 1685م، قام عددا من أصحاب النفوذ بضرب عملة وشقيق الإمام والي إب يرفض التوقف عن ضرب العملة.

((وفي هذه السنة اتفق كثير من الحوادث، منها كثرة الزيوف فيها وصار الأكثر من بيت الإمام يشاطر ويساهم،فتضرر الأمر من ذلك فأنهى الأمر إلى الإمام وسئل في ذلك النظر العام، فأرسل إلى كل دار ضرب ثقة من أصحابه للتغليق وسأل من الجميع الاستقامة فأمتثل البعض، وسارع البعض بالإضراب عن الضرب، إلا مولانا علي بن المتوكل (شقيق الأمام) فأنه اعتل أن ضربته لم تغش على الاستمرار.)) (1) وقد رفض أخيه علي التوقف عن ضرب العملة وهم الإمام بالتنحي بعد الخلاف بينه وبين أخيه. وأخيه هذا كان واليا على جبلة والعدين.ومعروف أن تلك المناطق كان الخراج فيها كثيرا.

من الفقرة السابقة يتبين لنا أن الإمام لم يكن له قدرة لوقف الضرب، وهذا يشكل خطرا على اقتصاد أي بلد، والعملة المعدنية المغشوشة يتم تقليل نقاوتها،بالمقارنة مع العملية السائدة ،ووضعها في الأسواق بإسم العملة الرسمية.! وعلى ما يبدوا فأهل بيت القاسم كلا واحد استقل بمنطقته التي يحكمها، وله أن يرسل إلى الإمام ما يريد من المال ويترك الباقي له..! وهذا الوضع يدلنا أن دولة الأئمة بداء الضعف ينخر فيها بشكل قوي وسريع. بسبب كثرة أصحاب النفوذ وعدم وجود إطار قانوني يلزم الجميع.

الإمام ينوي التجهيز على أهل جنوب اليمن

))وفي سنة 1096 كان الإمام بمعبر لا يرى التأخير، حتى يستأصل أهل المشرق،ويظهر والله فوق التدبير وله الحكم وهو اللطيف الخبير))(2) هنا الإمام الذي لم يعد يحكم إلا بعضا من اليمن، يريد إعادة الوضع إلى ما كان عليه أيام عمه ووالده، ولكن الوضع قد تغير على مستوى السلطة في ضوران وصنعاء، وعلى مستوى جنوب اليمن وشرقه.

وقد طلب الإمام من والي تعز محمد احمد بن الحسن،أن يرسل ولده عبدالله إلى حَرِيْر جنوب الضالع، للاستعداد للتجهيز على يافع، ولكنه كان يوجد اختلاف بين علي بن المتوكل ومحمد احمد بن الحسن، ولم تعجب هذه الخطة علي بن المتوكل وأرسل لأخية الإمام هذه الرسالة.

---

(1) المرجع السابق، ص 191

(2) المرجع السابق، ص 193

رسالة من علي بن المتوكل إلى أخيه الإمام حول التخريج على يافع

))بسم الله الرحمن الرحيم

المولى الإمام أمير المؤمنين وسيد المسلمين المؤيد بالله رب العالمين، حفظه الله تعالى بما حفظ به الذكر المبين وأصلح له وبه ثغور عباده أجمعين، وقفى به آثار السلف الصالحين والأئمة الطاهرين، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته في كل وقت وحين، وأما بعد أحمد لله الواجب وجوده الصادق إيعاده ووعيده الشديد الانتقام إذا هتكت محارمه ونقضت عهوده، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل الأنبياء وأزكاهم وأجل الأصفياء ومنتقاهم، وعلى آله الماشين على أعقابه القافين آثاره المتأدبين بآدابه:

فقد كنت أوري في النفس وأحجمه عن العهد الذي وضعته عن أمركم،لأهل يافع بالأمس رجاء أن ينتبهوا له أو ينبهوا عليه، وأن يذكروا إشارة مني إليه، وإذا بكتاب من الوالد شرف الدين الحسين بن الحسن بن الإمام يصدره من ذمار ويذكر ما عزمتم عليه، ووجهتم همتكم العالية إليه من الخروج على يافع لإجابتهم الأمير، ورعايتهم وإعانتهم إياه على خروج الولد عبدالله من حرير، ولعله جمع الجموع وتجهيز الجنود، فقد وجب الآن التصريح بالمقصود، قبل التورط والعياذ بالله فيما يسخط الرحمن،والتلبس بما لا يؤمن معه وجه الخذلان، فأقول قد علم أمير المؤمنين صانه الله تعالى وإياي من كل قادح في الدين، إني قد وضعت ليافع ومن إليهم عن رأيه الكريم تلك الأوضاع المشهورة، وكان ذلك للمصلحة الذي قد ظهرت لي وله في تلك المدة بعد خروج المحاط من الزهراء مذعورة مكسورة، ولم ابتدع ذلك الواقع ولا كنت له أول واضع، بل تبعت فيه الصنو محمد والصنو حسين فيما وضعا لهم في تلك المواضع من أن حرير في رباعة(=حماية) الأمير(=أمير الضالع) وأن الشعيب مكتب من مكاتب يافع، وانتهى إليكم ما فعلناه وجاء جوابكم بإجازة ما وضعناه وأن المصلحة ظاهرة فيما وصفناه وكتبكم عندنا ناطقة بما ذكرناه، ومضت هذه المدة ولم يحصل من المذكورين ما ينسخ تلك العقيدة، وأما ما وقع من الحواشب في الطرقات ومن الأجعود في حجر وتلك الجهات، فمن أين لنا ان تلك الجرائم كانت عن رضى الأمير قاسم (بن شعفل أمير الضالع) إذ الرضى من الأفعال القلبية ومجرد احتمال أنه رضي أو أمر لا يهدم من مكان البرأة الأصلية، على إنا قد كتبنا إليه وهجنا عليه، فأجاب أنه لايرضى بفعلهم وأنه برئ إلى الله تعالى من عملهم، وطالما حاول أن يعطي هؤلاء حقهم من لحج وعدن لتجري فيهم الموعظة، ويكفوا عن التخطف على الوجه الحسن، وذكرنا ذلك للصنو محمد، وجعل خطوطا إلى العمال(يقصد رسائل)ولكنهم

ماعملوا بتلك الأقوال، والحق الذي ندين الله به أن إقدام الولد عبدالله إلى ذلك المحل، بغي لا يرضاه الله تعالى إذ هو مما كان في عقوده واشتملت عليه عهودهم، وخروج أهل يافع عليه الدفع الذي أوجب الشرع وندب إليه فإن كان هذا الاحتشاد تجديدا للمخرج، فأخبروني ما المخلص عند الله وكيف المخرج فإني حائر في أمري وناظر لنفسي ولم ورائي من المسلمين، مع أني لم أضع ما وضعت إلا في مشهد عظيم من الرؤساء والعلماء ووجوه أعيان حاشد وبكيل، وأعيان من عليهم المعول من كل قبيل، وصدر كتاب من المتبصرين منهم في الدين مستفهمين لأمير المؤمنين، ومسترشدين وحق الله تعالى أكد الحقوق، فالخالق أولى بالمراقبة من المخلوق، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب، على أني لا ألو جهدا في النصيحة والمشورة، الصادرة عن نية صحيحة، فأقول أن هذه البعوث الذي بعثتم وإن كثر سوادها وجل عددها وأعدادها إن تقدمت إلى حدود القوم كانت لهم غنائم وكان هذا والعياذ بالله وهن المذهب(يقصد المذهب الزيدي) وفضيحة آل القاسم فإن المشرق اليوم حمرة لا يلتقي بمثله في القوة والكثرة، والرأي هو سداد هذا الثغر، والإعراض عن مناهضة الشر بالشر، والاشتغال بما هو أهم وما المعنى الزم من السعي في إصلاح ذات البين وتخليص السيرة من كل شين ليؤخذ في الاستعداد وامتحان الأجناد، وأهل الصبر على الجهاد ومتى استكملت الأهبة وجوزت العقول بمعونة الله الغلبة يطلب الوجه المبيح لجهادهم، والوجه المسوغ لشن الغارات إلى بلادهم، لنكون من أمرنا على بصيرة، وتكون أعمالنا على صلاح نية وحسن السريرة والسيرة، وأما التهافت على مناهضة الأعداء الذين قد أجدوا على النزال، وأعدوا له عدة السلاح والرجال والحال، هذا فيه اختلاف الرأي وتوسط العهد والصلح الذي أنطوى عليه ذلك العقد مصارم لقضايا المعقول ومراغم لأدلة المنقول، ونعوذ بالله من الخذلان، ونسأله العصمة عن مكائد الشيطان، وهو المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد واله وسلم.)) انتهت الرسالة (1)

رسالة على بن المتوكل لأخيه فيها 3 مواضيع رئيسية. 1 أن بين دولة الإمام وأهل الجنوب معاهدات ويجب الالتزام بها. 2.الدعوة إلى مسالمة أهل الجنوب وعدم أستخدام القوة ضدهم.

3. الاعتراف صراحة أن أهل الجنوب متوحدون ومستعدون لحرب دولة الأئمة.

---

(1) المرجع السابق، ص 193-196

4. في الرســالة إشــارة إلى ما وقع في الزهــراء، وربما أنه الزاهر والــذي يقع في بلاد آل حميقـان، وكيف فر جيش الإمـام مـذعورا.إذ يقع بـالقرب من جبل العرُ حين هـزمت جيـوش الأئمة هناك.أو قد يكون في الزهراء شرق السوادية، حين شب الحريق في مخزن البارود مما أدى إلى مقتل 400 من جيش الإمام.وقد تقدم ذكره.(ص 84)

وفـاة الإمـام محمد بن المتوكل في عـام 1097 هجرية، ودفنــه بجـانب والده بحصن الدامغ بضوران آنس.والناصر يتولى الإمامة خلفا لـه.

بعد وفاة محمد بن المتوكل كان الشخص الأكثر قدرة على تولي الإمامة من الناحية العسكرية هو محمد أحمد بن الحسن، وطموحه أتى من كون والده أحد الأئمة المحاربين، والذي كـان لـه دورا في تكوين دولة الأئمـة.وقد أخذ بعضا من طباع والـده مثل الأقدام، والنزق، وان كـان لا يوجد أحد من الأئمة يضـاهيه في مزاجيته ودمويته خاصة من بيت القاسم.وقد بـداء الصـراع بينه وبين أبنــاء وأحفــاد المتوكل على الله والــذين كــانوا في إب، وهم الحســين بن علي بن المتوكل، ويوسف بن المتوكل في ضوران، وابن المتوكل الآخر في المخاء زيد، وابن المتوكل الــذي في صــنعاء،الحســين.وحاصــروه وهو بالمنصــورة في الحجرية لكنه انتصر عليهم.(1)وانتقل إلى ذمار في أول عام 1098هجرية،الموافق 1697م.

الإمام الناصر يريد حرب يافع

الإمام يصل ذمار ويريد أن يجهز حملة على يافع، لكنه لم يستعد لها ولا يملك أموال لـذلك.وقد خرج إلى باب الفلاك بفرسه على أساس أنه سيقوم هو بحرب أهل يـافع.وقد راجعه بعض من أهل ذمار أن لا يذهب هو بنفسه للحرب بل يرسل نواب بدلا عنـه. وقد أمر الناصر عماله على تهامة وريمة أن يجمعـوا لـه أمـوالا اسـتعدادا لإرسـال حملة عسـكرية إلى يـافع، وتم لـه جلب عسـاكر من قبائل حاشد وبكيل وهمـدان بقيـادة ابن خليل وغـيرهم، وأرسـلهم إلى عمه أمـير رداع الحسين بن الحسن، وطلب منه التقدم إلى يـافع. وقد ذهب إلى هنـاك لكنه لم يحـارب بل سـعى في كيفيـة اسـتخدام القـوات الـتي لديه في الـدعوة لنفسه بالإمامـة.والناصر يرسل أخيه الحسن بن المهدي لمواجهة والي رداع الحسين بن الحسن.(3)

---

(1) المرجع السابق، ص 204-208

(2) المرجع السابق، ص 213

(3) المرجع السابق، ص 214_216

وفي هـذا العـام 1100هجرية 1689م قبض الإمـام على عمه الحسـين بن الحسن وأودعه السجن، وخاض عدة معارك وقام بسجن يوسف بن المتوكل،والحسين علي بن المتوكل.

الإمام ينتقل من ذمار إلى رداع لتكون عاصمة له

ويبني عمارة بالقانع شرق مدينة رداع.ويقوم بمهاجمة بلاد خولان والحيمة لأنهم كانوا ينوون مساعدة يوسف بن المتوكل وابن أخيه الحسين بن علي،واللذان كان يخططان لحربه.وقد سلط عليهم أهل همدان وقاموا باخراب بيوتهم، وقطع أعنابهم وبُنَهم، وشمل التنكيل البريء والمتهم.وتم قتل الداعي علي بن الهبل.(1)

حملة عسكرية على يافع وهزيمتها بالبيضاء ،ومقتل الشيخة نور بنت عفيف

وفي العام 1101 هجرية الموافق 1690م حملة عسكرية على يافع وهزيمتها بالبيضاء))وفيها التفت الناصر إلى حرب ابن عفيف (يقصد سلطان يافع السفلى معوضة بن عفيف(إلى ذلك الصوب، وجمع الأجناد من كل أوب وناط عاتق التدبير بابن خليل، وفوضه من أمر القبائل في الدقيق والجليل وأحب ان لا يكون له فيها ذكر لمذكور، وكان أثير الغيرة في مثل هذه الأمور، وكان هوى ابن خليل في تأمير المحسن بن المهدي(شقيق الإمام)وأحب مكافأته بماله عليه من الأيدي، فعومل بنقيض قصده من اطراحه من غيره من القروم وأمر علجا من الروم[القصد تركي ربما هؤلاء القادة كانوا يأتون إلى اليمن وغيرها للخدمة في العسكرية والسبب خبرتهم] فتوجهت معه الأجناد وتوغلت دخولا في البلاد، ولما بلغت الجيوش إلى البيضاء وهي أقرب شيء من جهتهم إليه اجتمع أهل المشرق قضهم وقضيضهم للإجلاب عليه حتى النساء توجهن معهم للقتال، وبرزت نورهم [القصد بها الشيخة نورة بنت عفيف زوجة محمد بن عفيف وهو هنا يسميها نورهم للاستهزاء بها والسخرية منهم أنها مثل النور لهم] بين الصفوف وكانت على فرس تقاتل في ذلك المجال، ولو كانت النساء عندهم مثلها فضلوها على الرجال، وأظهر أهل المشرق بكراتها لسرورهم، واختالوا فرحا فذهب الله بنورهم فأصيبت في ذلك المجال، وحملوها على الأعواد[الشيخة نور بنت عفيف قتلت في البيضاء وضريحها موجود هناك في جنوب المدينة] ولما أسود يومهم بالبيضاء ثم أن الجنود الناصرية تبعتهم في اللحوق إلى بلادهم وبذلت طاعتها في جهادهم وما زالت تصعد حتى ملكت الغُر وهي زمام ارض يافع.(2)

---

(1)المرجع السابق، ص 226

(2) المرجع السابق ص 227

وما زالت نار الحرب تفور تنورها وتتعالى كأعناق المحاض قتيرها وقد صدق الجلاد، وحمى الوطيس وجاد المشرق بنفوسهم، وإذا بعنس وإخوانهم سلكوا إلى العُر طريقا فاستقل بها قدم وما شعر العدو إلا وألويتهم تخفق على رأس الجبل، وجاءهم من الأمر ما لم يكن لهم بدفعه قبل، فيقال أن ابن خليل نفس أهل عنس وأخوالهم على الانفراد بالجمالة، ولم يعقب لائمة الإمام في تلك الحالة، فانحط من أثناء الجبل منكسرا، وأسلبهم ما كانوا به ظفروا مع الاستظهار قسرا، وقيل إنه صانع بالمال من العفيف لضغن في نفسه، في عقائل أشجان من حبسه فمن أجل هذا قلب ابن العفيف وأصحابه إلى حيث لا يمكن أخذهم بالسيف، وصاروا من المنعة بمكان لا يمر به الطيف)) (1)ـ في هذه المعركة واضح أن جيش الإمام هزم هناك، والإمام الناصر يلقي باللائمة على قائد الحملة الشيخ حسن خليل(ابن خليل) شيخ همدان(2) والذي كان مكلفا القيام بها، ومثل هذه التهم سنراها توجه ضد قادة آخرين في معارك أخرى بالمشرق.حيث والإمام الناصر بتسرعه وغضبه لم يكن قادرا على قراءة الواقع وظروفه، لذا فهو ينسب هذه الهزائم إلى قادة جيشه.والعوامل التي جعلت أبناء جنوب اليمن ينتصرون في المعركة السابقة عام 1094 هجرية الموافق 1683م أيام سلفه الإمام المؤيد الصغير هي نفسها التي جعلتهم ينتصرون في هذه المعركة والمعارك الآتية.والوصف للمعارك يدلنا على جوها وكيف وقعت، إذ لا يذكر قتلى خصومهم باستثناء الشيخة نور بنت عفيف، وقد وصفها بأسلوب فيه استهزاء وتحقير لها إذ يسميها ((نورهم)) أي أنها كانت بمثابة النور لهم وان النور هذا انطفاء بعد مقتلها..! وهذه مشكلة بعض المؤرخين أنهم يخلطون بين مشاعرهم الشخصية وبين وقائع التاريخ.

وكما يبدوا من الحملة أن الأئمة فقدوا الكثير من القتلى والجرحى، أما هروب أو تراجع أهل المشرق فهذا طبيعي في كل الحروب التي تخوضها دولة مع جماعات وأفراد، إذ يجب عليهم التراجع والاختفاء يسرة ويمنة حتى يتقدم العدو ويمتصوا بعضا من اندفاعه، ثم يقومون بمهاجمته من أمامه وأيسره وأيمنه، وهم قد استفادوا من المعارك السابقة إذ لا يمكنهم بأعدادهم القليلة وبسلاحهم الأقل أن يواجهوا جيش دولة، ويحاربون وكأنهم جيش بل يحاربون وكأنهم ثوار. وقد رأينا كيف انتصروا على جيش الإمام الناصر وتكبيده الخسائر الفادحة.

(1) المرجع السابق، ص 228

(2)المرجع السابق، ص 229



هذا ضريح الشيخة نور بنت عفيف في مقبرة فدعق والتي تقع جنوب مدينة البيضاء، والتي قتلت عام 1101 هجرية الموافق 1690 م في البيضاء، وهي تواجه جيوش الأئمة، وقد كانت من الفرسان والمقاتلين ويقول المؤرخ اليافعي حسن صالح شهاب في كتابه تاريخ يافع، أن الشيخة نور تعرضت للسجن من قبل الأئمة في رداع، حيث تم اعتقالها عام 1066هجرية الموافق 1656م عندما ثار أهل يافع بقيادة زوجها الشيخ محمد بن معوضة بن عفيف.تصوير المؤلف مايو 2006.

وتحميل المسئولين الذين يرسلهم الناصر لحرب أهل المشرق المسئولية للهزائم التي كان يمنى بها جيشه سنراه في المعارك القادمة، وقد أصبح شيئا مألوفا. أن يتم نسبة الهزيمة إلى عوامل طبيعية أو إلى أشخاص الخ. المعركة وقعت في البيضاء ومن ثم باتجاه جنوب المدينة المعركة السابقة وقعت في جبل العُرْ والذي يقع شمال يافع وجنوب البيضاء، يبعد عن البيضاء بحوالي 20 كم إلى الجنوب.أما هذه المعركة فقد تقدم أهل يافع 20 كم شمالا، وسنرى في المعارك القادمة أن جيوش الأئمة لن تصل إلى البيضاء، بل ستكون المعارك في المعسال وهي تبعد عن البيضاء من ناحية الشمال حوالي 140كم.

توتر العلاقة بين ابن خليل وبين الإمام

وفي هذا العام 1102 هجرية الموافق 1691م، بعد حرب يافع توترت العلاقة بين ابن خليل وبين الإمام الناصر، حيث قام ابن خليل بالعودة إلى بلاده عن طريق الجوف، حتى لا يقوم الناصر بقتله أو سجنه، وجاء ابن خليل إلى صنعاء واحضر ولده رهينة عند ابن الإمام إسماعيل بن الناصر(1)وقد قامت حرب بين ابن خليل والناصر في صنعاء، وبعدها تم إلقاء القبض على ابن خليل وأعدم في رداع.(2)

حملة عسكرية إلى المشرق

وقد أرسل الإمام ابن أخيه القاسم بن الحسين، وأخيه زيد إلى المشرق ولا ندري إلى أين وصلا ربما إلى السوادية، أو حولها، وأرسل بعدها العساكر، وهذه الحملة مثل سابقاتها ينقصها الإعداد والتجهيز الصحيح.وقد عادت بدون أن تقوم بأي معركة.وقد وبخهما الإمام على ذلك.(3)

الإمام يجهز حملة عسكرية كبيرة على الضالع وهزيمتها

وفي هذا العام 1103 هجرية الموافق 1692م، جمع الإمام الجموع للزحف على الضالع للسيطرة عليها، ربما لأنه قد فشل في معركته إلى الآن في المشرق، ولم يعد العدة الكافية لهذه الحرب مثل سابقاتها ولم يستشير احد في كيفية القيام بها، والمهم انه كان يستخدم هيبته لعمل مايراه صحيحا حتى لو أدى إلى الهزائم.

---

(1) المرجع السابق، ص 230

(2) المرجع السابق، ص 233-235

(3) المرجع السابق، ص 230

وقد عين لهـذه الحملة علي يحي بن الحسـين بن المؤيد بن القاسـم، والأمـير سـعيد قاضي ومسعود وأسعد (يبدوا أن هؤلاء من عبيد الإمام من خلال أسمائهم) وقد تحركت الجموع من رداع باتجـاه قعطبة ثم الضـالع، ولحق الأمـام الحملة إلى جُبَن وبقي هنـاك، وعند وصـول الجيـوش إلى هنـاك بـدأت الحـرب، وتراجع أهل الضـالع إلى الخلف والميمنة والميسـرة لامتصاص اندفاع جيوش الإمام، وتبعهم جيش الناصر من أجل الغنائم، وهذا ما جعل قادتهم يأمنون وانتظروا في تل حتى رجوع أصحابهم، ليعودوا إلى معسكراتهم منتصرين غانمين، وفاجأتهم قوات من يافع أرسلت نجدة من سلطان يافع السفلى معوضة بن عفيف، وقامت بقتل كل من وجـدت في ذلك المكـان وبينهم قائد الحملة علي بن يحي بن الحسـين بن المؤيد وتم قتل بـاقي الأمـراء سـعيد ومسـعود وأسـعد، و40 من عسكرهم.وقد كـانت هزيمة كبـيرة للإمـام وجيوشـه، وعنـدما علم وهو في جُبَن قفل راجعا إلى رداع.ويقول الحسين بن علي بن المتوكل في قصيدة يحرض فيها الإمام على حربهم ثانية

وفي أرض تيم(=بلاد الضالع) تم فيها لأهلها========بقتل على مقصد ومرام.(1)

الناصر يتخذ من الخضراء برداع عاصمة له

في هذا العام اتخذ الإمام الناصر الخضراء من رداع عاصمة لـه، وقد عمرها وهي تقع شمال غرب رداع بمسافة 2 كم.وسيتركها بعد وقت إلى ذمار.

وفي هذا العام 1104 هجرية الموافق 1693م وقع قتال في صعدة بين الإمام الناصر، وبين أحمد بن علي بن القاسم، ومقتل إسـماعيل ابن الناصر (ابن الإمـام) هنـاك.وهزيمة قـوات الإمام.

1106هجرية الموافق 1694م

الإمام يجهز حملة عسكرية على المشرق ولكنها تنهزم في المعسال

وفي هذا العـام 1106 هجرية جهز الإمـام حملة عسكرية كبيرة، ولم تصل إلى البيضـاء أو يـافع بل وقعت في المعسـال شرق رداع ب 30 كم على بعد 130 كم شمال البيضـاء و 170 عن يـافع.والسبب ان تلك المنـاطق قد تحـررت، وقد هـزمت هـذه الحملة هزيمة كبيرة، ومثل عادة مؤرخي الأئمة فهم لا يشيرون إلى كل خسائرهم، في الأرواح أو السلاح والمؤن.(2)

---

(1) المرجع السابق، ص 237-238

(2) المرجع السابق، ص 253



صـورة لجـانب من منطقة المعسـال هـذه منطقة المعسـال المـذكورة في الفصل الخـامس من الكتاب، وهي تقع شرق رداع ب 30 كم وشرق قرية سارع التابعة لقبيلة قيفة ب3 كم تقريبا، وفي هذه البقعة أثار قديمة تعود إلى أيام الدولة الحميريـة، ودولـة حضرموت، وكانت تسمى وعلان.وتوجد في هذه البقعة أثار بنايات ليست قديمة وربما أنه كان يوجد فيها قلاع ونوبات حراسة أيام الأئمة السابقين، وقد وقعت عدة معارك في هذه المنطقة، وهي مذكورة في الفصل الخامس. تصوير المؤلف أغسطس 2005م

بل أشـار إلى ان الـذئاب شبعت من كـثرة الجثث الـتي قتلت، وأضـاف أن استقصـاء الحملات العسكرية الـتي قـام بها الناصر لا يـأتي عليها الحصر، وسـبب هزائمه كما يقـول المـؤرخ هو التسـرع، واختلاف أقاويل الـوزراء فـالآخر ينقض ما عقده الأول، وحملاته على جنـوب اليمن تزيد على الأربعين حملة وعدد الضحايا بـالآلاف والمئـات. ويضيف ان عدم قدرة الأئمة على استئصالهم(إخضاعهم) فيها حكمة من الله تعالى. (1)

علي أية حال المؤرخين يحاولون أحيانا خلق الأعذار للهزائم من خلال الوقائع المباشرة، ولا ينفذون إلى ما وراء الأسباب، هنا المؤرخ يشير إلى أن الناصر متسرع، ومتقلب، وان القائد الأخير ينقض ما عمله الأول، وهذا صحيح، ولكن هذا تفسير لوضع الناصر ودولته ودولة الأئمة، ولا يفسر حال أهل جنوب اليمن إلا في الأخير بجملة ان عدم قدرة الأئمة على إخضاعهم فيها حكمة من الله، هذا صحيح.

هذا المؤرخ وغيره لم يحاولوا أن يفسروا لماذا أهل تلك المناطق لا يريدون دولة الأئمة الزيدية ولماذا حاربوها بهذه الشراسة والعنف والبسالة من أجل حريتهم. والسبب أن هذا المؤرخ يكتب ما يعجب السلطة ومن وجهة نظرها، بل هو واحد من عناصرها، إذا عرفنا ان كل واحد من بيت القاسم قد أُعْطي منطقة أو عزلة لتكون عائداتها له، وعندما كثروا كثر الصراع بينهم على ذلك.

ومنطقة المعسال ستجري فيها معارك أخرى، وجيوش الأئمة بعد هذا التاريخ 1106 لم تعد تتعدى هذه المنطقة.

1107هجرية ، الموافق 1696م

الناصر يغير لقبه إلى الهادي

وفي هذا العام غير الإمام الناصر لقبه إلى الهادي.. ((2)

1108هجرية ، الموافق 1697م

الإمام يخطب ابنة الرصاص

وفي هذا العام 1108 هجرية تزوج الإمام الهادي صفية ابنة الشيخ احمد بن علي الرصاص الجرهمي، وهو بهذا النسب أراد التقرب من آل الرصاص بعد هزيمة جيوشه هناك.((3)

---

(1) المرجع السابق، ص 253

(2) المرجع السابق، ص 255

(3) المرجع السابق، ص 256

حملة عسكرية إلى المشرق

وفي هذا العام 1108 هجرية, قام الإمام بتجهيز وإرسال مائة فارس من خواص الفرسان إلى إطراف بلاد بني أرض، وعندما وصلوا إليها حصلت بينهم مناوشة مما أدى إلى هزيمة عسكر الإمام، وعندما علم الإمام بهذا الحادث تغيض وتكدر منه، وكان القاسم بن الحسين حاضرا عنده، وانتظر حتى نام الإمام، وقام ليلا وجمع بعضا من جنده وأسرى بهم إلى المكان الذي هزم فيه عسكر الإمام، وقام بالانتقام منهم وقتل عددا منهم وأحضر رؤوسهم إلى رداع، وقد أخبر الإمام بذلك فسر سرورا شديدا، وأمر له ولأصحابه بالخلف النفيسة.(1)

بلاد بني أرض تبعد عن رداع أكثر من مائة كم، وكيف لمائة فارس، أن يذهبوا إلى هناك بدون ما يعترضهم احد، وقد رأينا أين وقعت المعركة السابقة في المعسال.والذي نعتقد ان الهجوم هذا جرى في شرق رداع ربما قبل المعسال، وذالك لسببين

الأول: انه المكان الذي لازال تحت سيطرة الأئمة وهو ليس بعيدا عن رداع.

الثاني: من خلال ذهاب القاسم بن الحسين إلى تلك المناطق والعودة ليلا يتبين لنا انه لا يبعد عن رداع إلا 10 إلى 15 كم.والجبال التي تقع شرق رداع وتطل على المعسال من بعيد كانت أقصى نقطة تحت سيطرة الأئمة في ذلك الوقت، وهجوم القاسم بن الحسين ربما أنه كان على قرى أو بدو رحل والتي تمتلئ بهم تلك المناطق، ولا علاقة لهم بالحادث السابق.لأنه لا يعقل ان تحصل معركة ثم يكون الناس غير حذرين، ويأتيهم عدو بالليل ويهجم عليهم ويقطع رؤوسهم ويعود إلى بلاده سالما..!

1109هجرية الموافق 1698م

حملة عسكرية إلى المعسال وفشلها وهزيمتها

وهي ثالث حملة في عهد محمد أحمد بن الحسن في هذه السنة أراد الإمام عمل شيئا ما لأنه ربما لا يرتاح له بال إلا بممارسة العنف، وقام بإرسال حملة عسكرية كبيرة، نحو بلاد البيضاء، ولم يعين لها قادة معروفين، وكانت معركة كبيرة بين أهل الجنوب وعسكر الإمام، هزمت على أثرها جيوش الإمام، إلى درجة انه تغير الهواء من نتن القتلى، أصيب بعض أصحاب الإمام المعروفين. من السادة آل ألحبسي، وعلي بن هادي العلفي.(2)

---

(1) المرجع السابق، ص 261-262

(2) المرجع السابق، ص 263

هذه الحملة مثل سابقتها التي جرت عام 1106 هجرية وقعت بالمعسال، وهي أول منطقة مأهولة من بلاد البيضاء، وقد هزم جيش الإمام هزيمة ساحقة، ولم يذكروا عدد القتلى مثلما هي عادتهم في عدم ذكر قتلاهم والذين هم كثر بالتأكيد، حيث يذكر أن الهواء تغير من نتن القتلى أي ان أهالي القتلى وهم على ما يبدوا من عسكر الإمام لم يتمكنوا من دفن قتلاهم، بسبب ضراوة المعارك وهربهم من ساحاتها.

الهادي يغير لقبه إلى المهدي..!

وفي هذا العام غير الهادي لقبه إلى المهدي، تيمنا بالمهدي المنتظر..!وهذا ثالث لقب له وقد بقي معه إلى ان مات.وهو يدل على تقلب مزاجه، وغروره ورعونته، وإلا ما علاقة الألقاب بالحظ والقدرة على العمل وحسن التصرف.

1110هجرية ، الموافق 1699م

ويذكر المؤرخ أن الحرب وقعت بين الإمام والمشرق سجالا ولكنه لم يحدد أين وقعت تلك المعارك، ويبدوا انه كان يرسل عددا من الجنود لمهاجمة المناطق القريبة خلف جبال رداع الشرقية.وذكر أن بعضها كانت له وبعضها عليه(1) المؤرخ ذكر أنها وقعت معارك ولم يذكر أين وقعت وان بعضها له وبعضها عليه، ونحن نقول أنها كانت عليه، ولو نجح في معركة واحدة لقوم الدنيا ولم يقعدها بهكذا نصر، ولكنه ضلى يقوم بعمله العبثي هذا والمدمن عليه وهو سفك الدماء والبقاء في حالة انشغال بالعنف ربما ليشغل مَنْ حوله.

المهدي يغير العاصمة إلى المواهب في ذمار

وفي هذه الأثناء مرض الإمام واشتد عليه المرض، وبعد شفائه كره الخضراء في رداع، وأراد ان ينتقل إلى مكان آخر، وأمر ابنه محسن، ووزيرة صالح الحريبي بالبحث له عن مكان قرب ذمار يكون عاصمة له، وقد بحثا ووجدا أكمة اسمها المواهب وأسسا مقرات للحكومة هناك، وبعد بنائها انتقل إلى هناك وبقي فيها إلى حين وفاته.(2)

حملة عسكرية شديدة على أهل وصاب وريمة تؤدي إلى درجة قطع أذان النساء

في هذه السنة ثار أهل وصاب وريمة على عاملهم بسبب ظلمه، وقام الإمام بإرسال صالح بن حبيش بحملة عسكرية لتأديبهم.

---

(1) المرجع السابق، ص 266

(2) المرجع السابق، ص 266–267

وقامت هذه القوات بالقتل والنهب والسلب، ((وكان الواحد منهم يقطع أذن المرأة من أجل القرط الذي فيها ولقد بيع ذلك بصنعاء والآذان بها أو بواقيها))..!!!(1)

من الحالة السابقة ندرك إلى أي حد وصل العنف ضد الشعب وعدم احترام آدمية الناس.

1113هجرية ، الموافق 1702م

وفي هذا العام خطب الإمام بنت الرصاص الفائق

وفي هذا السنة خطب الإمام صاحب المواهب ابنة الشيخ صالح الرصاص، وبعد الاتفاق على كل شيء، وعند وقت زفافها رفض إخوانها والإمام يرسل قوات إلى هناك لأنه اعتبر ذلك إهانة له، وفي الأخير وافق الرصاص درءا للفتن.(2)

1114هجرية ، الموافق 1703م

السلطان قحطان بن معوضة بن عفيف يهاجم عدن

وفي هذا العام هاجم السلطان معوضة بن عفيف عدن وقتل عاملها، مجاهد وهو من الحجرية، وقام بنهبها ولما وصل الخبر إلى الإمام أرسل أخيه المحسن بجيش كبير، لكنه وصل والسلطان قد عاد إلى بلاده.وقد تأمر محسن احمد بن الحسن على الشيخ العبدلي وتم قتله(3)

صاحب المواهب يرسل حملة عسكرية إلى السوادية وتهزم ومطاردة جيوشه إلى قعطبة (رابع حملة رئيسية)

وفي هذا العام أرسل الإمام حملة عسكرية كبيرة إلى المشرق ووصلت إلى شمال السوادية 40 كم شرق رداع، وكانت بقيادة ولديه إبراهيم وعبدالرحمن، وبعض الأتراك الخبراء في الأمور العسكرية، وهناك وقعت معركة كبيرة انهزم على أثرها جيش الإمام وتم مطاردة جيوشه حتى وصلوا قعطبة.(4)

وهذه الحملة فشلت مثل سابقاتها ولم تحقق شيئا لدولة الأئمة، ولكن طالما الجنود من القبائل والمال من بلاد الشوافع ولماذا لا يستمر الإمام يجرب حضه في ايذا أهل المشرق بالحملات العسكرية.

---

(1) المرجع السابق، ص 267

(2) السابق، ص 302

(3) السابق ص 305

(4) السابق ص 306-307

1115 هجرية ،الموافق 1704م حصول وباء وجوع وغلاء في اليمن (1)

1117هجرية ،الموافق 1706م إرسال مساجين إلى حضرموت

الإمام المهدي يطلب من وزيره صالح الحريبي جمع المساجين من حاشد وبكيل وأن يجهزهم ويرسلهم إلى الشحر لإعانة السلطان عمر بن جعفر الكثيري، وكان الحريبي قد أتى شاكيا إليه تغلب أهل يافع على بلاد حضرموت عندما أتوا بدعوة بدر بن عمر المردوف، وقد ذهب السلطان مع هؤلاء العسكر، واستقل بهم ببعض المناطق ولكنهم ثقلوا عليه وأعطاهم مستحقاتهم وطلب منهم الرحيل ورحلوا.وقد تغلب عليه المنافسون له، وطلب فيما بعد المساعدة من الأئمة ولكنهم لم يستطيعوا، وقد بقي إلى دولة القاسم بن الحسين.(2)

إرسال المساجين من أهل حاشد وبكيل له دلالاته، ربما بسبب أنهم زيود، فأن نجحوا حققوا المعروف لمن أرسلهم، وإن فشلوا أو قتلوا فهم مساجين..!وقد عاد بعض منهم إلى بلاده.

1118هجرية ، الموافق 1707م

أهل يافع يخرجون من تبقى من الزيود من حضرموت

وفي هذا العام اخرج أهل يافع من تبقى من الزيود هناك، وقد بقوا هناك منذ أيام المهدي احمد بن الحسن، وقد تملكوا فيها وكانوا يعملون مع سلاطين آل كثير.(3)

1120 هجرية ، الموافق 1709م

أهل يافع يقومون بمهاجمة إب ونهبها

وفي هذا العام قام السلطان عمر بن صالح هرهرة، وأهل المشرق جميعا، وذهبوا إلى إب وقاموا بنهبها.إذ حصلت مشكلة بين واليها الفقيه محسن الوزير، وعمر صالح هرهرة حيث أرسل له رسالة وكان جوابه سلبيا وغير مؤدبا.

فما كان من السلطان عمر بن صالح هرهرة، إلا أن جمع أهل المشرق وقصد بهم إب ودخلوا المدينة ونهبوا نصفها وراحت قتلى من الجانبين وبقي النهب في المدينة يوم وليلة، وعندما علم الإمام بهذه الحادثة أرسل نجدة عسكرية بقيادة يحي بن علي بن المتوكل، والناصر بن الحسين بن الحسن، ومحمد بن الحسين بن عبدالقادر، وصاحب كوكبان.

---

(1) المرجع السابق، ص 309

(2) المرجع السابق، ص 316-317

(3) المرجع السابق ص 317

وقد لحقوا بأهل المشرق حتى وصلوا بلاد بعدان في منطقة العذارب وقد جاد أهل يافع وقتلوا قائد النجدة يحي بن علي بن المتوكل، والناصر بن الحسين بن الحسن. وقام أهل يافع بقطع رأسيهما وعلقاه على شجرة.وكان ممن قتل معهما من القادة محمد أحمد بن صالح بن أبي الرجال، وعلي بن مهدي الجوفي وكان الجوفي ممن يعد من الأبطال.(1)

وبعد هذه الحادثة أرسل الإمام الحسين بن علي المتوكل إلى بلاد حاشد وبكيل مستجيرا بهم أن يقوموا بالثأر ((لأبناء رسول الله))..! وقال لهم إن عمل يافع هذا حط لمعشر الزيدية.ونص على قائد برط ابن جزيلان وقائد سفيان صالح حبيش.واستثار الإمام أهل سحار، ويام، وآل عمار، ووائلة وشاكر وخولان، ووادعة وكل بلاد الزيدية.وقدا أقبل الكثير من الرجال.ووقع الحل والعقد بيد صالح ابن حبيش شيخ بني سفيان.(2)

تقدم الحشود إلى رداع وبداء المعركة وهزيمة جيش الإمام

وقد تقدمت الجيوش الكثيرة والذين هم مثل الجراد إلى رداع مع قادتها ابن حبيش وجزيلان، ومن هناك تقدموا باتجاه المشرق وبداء القتال في منطقة المعسال كالعادة، وقد تقدمت جيوش الأئمة في البداية ثم أطبق عليها أهل المشرق من كل صوب وهزمت جيوشهم شر هزيمة، حتى أضطر بعضا منهم إلى الاحتماء في قلعة المعسال وهم من أصحاب ابن حبيش وقد سمح لهم بالخروج بدون سلاح واللحاق بأصحابهم المنهزمين.(3)

وقد قيل كلاما كثيرا حول التنافس بين ابن حبيش وأبن جزيلان وإن كل واحد منهم يكيد للثاني، وهذا هو سبب الهزيمة، وعندما عادا إلى رداع منهزمين، سافر ابن جزيلان إلى بلاده حتى لا تقع له مشاكل مع الإمام صاحب المواهب.(4)

---

(1) المرجع السابق، ص 322-323
(2) المرجع السابق، ص 323
(3) المرجع السابق، ص 324
(4) المرجع السابق، ص 325

1121هجرية، الموافق 1709م

قتل صالح ابن حبيش شيخ سفيان من قبل القاسم بن الحسين في صعدة

وفي هـذا العـام تم قتل صـالح ابن حـبيش في صـعدة من قبل القاسم بن الحسـين بطريقة الغدر.وأهل بكيل يثورون على القاسم بن الحسين لأنه قتل احد مشائخهم .(1)

1128هجرية، الموافق 1716م

القاسم بن الحسين يتولى الإمامة خلفا للمهدي صاحب المواهب

1129هجرية، الموافق 1717م

إرسال 400 جندي من الزيود لمساعدة السلطان عمر بن جعفر

في هذا العام أرسل الإمام المتوكل القاسم بن الحسين من دهمة 400 رجل وكان قائدهم ابن عفراء الحسني، وبعد ان استخدمهم عمر بن جعفر، طلب منهم العودة ولم يعودوا، وقام أهل حضرموت بقتلهم جميعا. (2)

1130هجرية، الموافق 1718م

وفاة صاحب المواهب في 22 رمضان وهو محاصر (3)

1133هجرية، الموافق 1721م

أهل الحجرية يثورون على الدولة

وفي هذا العام ثار أهل الحجرية على الدولة، وسار إلى هناك ابن الإمام أحمد بن المتوكل بن القاسم واخمد تلك الثورة بعد لأي(4)

1135هجرية، الموافق 1723م

أهل يافع يذهبون إلى قعطبة لأخذ مستحقاتهم

وفي هذا العام ذهب أهل يافع كالعادة لأخذ مستحقاتهم من الدولة من قعطبة، ولكن لم يعطوا شيء ورجعوا إلى بلادهم. وكان أميرها عبدالله بن طالب بن المهدي احمد بن حسن.(5)

---

(1) المرجع السابق، ص 331, 332, 333

(2) المرجع السابق، ص 392

(3) المرجع السابق، ص 396

(4) المرجع السابق، ص 403

(5) المرجع السابق، ص 411-412

ومجاعة كبيرة باليمن بسبب الجراد والقحط(1)

1144هجرية،الموافق 1732م

وفي هـذا السـنة أتى أهل يـافع إلى قعطبة بتواطؤ من بعض أهلهـا، وكـان فيها 300 منهم يتبعون عسكر الإمام، وبقوا في ثكناتهم، أما المدينة فقد تم نهبها من قبلهم، ورجع أهل يافع إلى بلادهم.(2)

وفي هذه السنة وقعت حروب بين شيخ لحج فضل بن علي وبين عسكر الإمـام هنـاك، وكما يقول مؤرخ الإمـام المنصور الحسين بن القاسم بن الحسين بن أحمد بن الحسن بن القاسم، حسين الأهنـومي ((وفي شـهر ذي القعدة الحـرام من السـنة المـذكورة يعـني 1144 هجرية حصل الغدر من العبدلي اللعين وزين له الشيطان ولمن معه قتل العامل في لحج فدخل إليها مع جماعة من أعوانه وما يخطر ببـال ذلك الإقـدام وكـان العامل حامل التسـهل ولم يكن فيه تيقظ واحتزام فباشروه بضرب السيوف في تلك الساعة.))(3)

1145هجرية، الموافق 1733م

وعندما علم الإمام المنصور بهذه الواقعة, أرسل جيوشا كثيرة إلى لحج بقيادة الشيخ أحمد الوادعي، وسار الوادعي ب 500 من حاشد وبكيل إلى هنـاك.وقد انسحب العبدلي من مدينة الحوطة وترك جيوش الإمـام تـدخل المدينـة، وقـام بضيافة من أتى.ولما لم تقع معارك طلب الوادعي من أحمد بن المتوكل أخ الإمام أن يأذن للجنود بـالعودة للراحة والسبب أن تلك البلاد موبوءة وأذن له.

وبقي هناك الأمير سنبل الصادق عاملا في لحج، مدة 4 اشهر وطلب الإمام من العبدلي أدب على قتله العامل في العام السابق وهي 10000 ألف ريال.وقد دفعها .

وذهب العبدلي إلى يافع، وأتى من يافع ومعه السلطان سيف بن قحطان العفيف سلطان يافع السفلى.وأتفق معه على أن يكون نصف خراج عدن للشيخ سيف، وعندما وصل أهل يافع بدأت المعارك في لحج وبقي بعض من جنود الإمام هناك.(4)

---

(1) المرجع السابق، ص 413-414

(2) المرجع السابق، ص 463-464

(3) أحمد فضل العبدلي، هدية الزمن في أخبار لحج وعدن، ص 144

(4) العبدلي، مرجع سابق، ص 145

الشيخ السلامي يهاجم قوات الإمام في عدن ولحج واستقلال الجنوب الكامل عن دولة الأئمة

وانتقل الشيخ العبدلي إلى عدن، مع عساكر يافع، وكان فيها **250** من عساكر الإمام وهم من حاشد وبكيل، وقد دخل العبدلي من جهة البحر في قوارب صغيرة، ويقول المؤرخ الأهنومي((فما عرفت الرتبة إلا وهم في المدينة، والرتبة في رؤوس الجبال محلات متباعدة، لأن عدن واسعة وجبالها شامخة، وهؤلاء الأنجاس دخلوا من البحر، فما أمكن من الرتبة، إلا ان حفظوا أنفسهم واحربوا حرب مدافعة على أنفسهم ثلاثة أيام، ونالتهم المشقة من قل الماء والطعام.ثم إن العبدلي أذن لهم أن ينحلوا بما معهم من السلاح وغيره)) وأيضا توسط العيدروس على خروجهم من عدن سالمين إلى المخاء. .(المؤرخ العبدلي نقل ذلك عن السيرة المنصورية للأهنومي)(1)

وفي ذي القعدة من عام **1145**هجرية، الموافق **1733**م ،ذهب الشيخ العبدلي إلى السلطان سيف، وطلب منه مساعدته على الهجوم على من تبقى من عسكر الإمام في لحج، وقد حاصروا من كان فيها، وأذنوا لهم بالخروج سالمين من القلعة، التي كانوا فيها.وهكذا استقلت لحج من حكم الأئمة.

وقد أرسل الإمام حملة عسكرية، بقيادة الشيخ عبدالرب ابن وهيب عامل العدين، وعندما تحركوا جهة لحج إلى بلاد الحواشب، بلغ الشيخ فضل بن علي السلامي ذلك وجمع أصحابه، وتوجه لقتالهم وهاجم معسكرهم ليلا وهزمهم، ومنذ ذلك الوقت تحرر جنوب اليمن من نفوذ وحكم الأئمة. وكانت تلك آخر منطقة تستقل من حكمهم.

---

(1) العبدلي، مرجع سابق، ص 145-147

خاتمة الفصل الخامس

هذا هو الفصل الأخير من هذا الكتاب.وقد تحولت في هذه الفترة موازين القوى لصالح جنوب اليمن، حيث توحد وقوي وازداد صبرا، بينما حصل العكس في الجهة الأخرى.وقد توفى الإمام والقائد العسكري أحمد بن الحسن، وتولى الإمامة بعده الأمام المؤيد محمد إبن الأمام إسماعيل بن القاسم، وقد انتفض أهل الجنوب ورفضوا دفع الجزية والزكاة ورفضوا التعامل مع جيوش الأئمة وعمالهم، وهو ما يسمى الآن بالعصيان المدني.وقد بدأت الثورة في يافع وحصلت معارك في جبل العُرْ شمالها عام 1094 هجرية وهُزِم جنود الأئمة هزيمة كبيرة، وقتل الكثير من جنودهم ومن قادتهم ومن ضمنهم أحد قادة الحملة أحمد بن محمد بن الحسين بن القاسم.ودفن بالعُرِ.وبعض القادة أصيبوا بالانهيار النفسي مثل الحسين بن الحسن بن القاسم.وقد كان ذلك بداية النهاية لحكم الأئمة لجنوب اليمن.وقد زادت تلك الحرب حكم الأمام ضعفا فوق ضعفه، وقد توفى الإمام المؤيد عام 1097 هجرية ودفن في ضوران آنس بجانب والده.وتولى الإمامة بعده الأمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن بن القاسم، واتخذ من رداع ثم المواهب في ذمار عاصمة له.وبعد حروب بينه وبين المنافسين له تمت له بعض السيطرة على الوضع في اليمن الأسفل وبعض المناطق الشمالية.وحينها إستعد لحرب يافع عام 1101 هجرية، وقد أرسل الأمام جيوشا كثيرة لقمع أهل الجنوب ووقعت المعركة في البيضاء وهزمت جيوش الأئمة هزيمة كبيرة، وقتلت الشيخة نور بنت عفيف في البيضاء ودفنت هناك.وفي العام 1103 هجرية جهز الأمام حملة عسكرية كبيرة إلى الضالع ولكنها فشلت وهزمت جيوشه هناك وقتل قادته.وقد جرى قتال بين قوات الأمام وقوات المنافسين له في صعدة في العام 1104 هجرية.وفي عام 1106 هجرية جهز الإمام حملة عسكرية كبيرة لحرب أبناء جنوب اليمن ولكنها هزمت في منطقة المعسال والتي تقع إلى الشرق من رداع بمسافة 30 كم تقريبا.وقد تزوج الأمام في عام 1108 هجرية على صفية إبنة الرصاص، وفي عام 1109 هجرية أرسل الأمام حملة عسكرية إلى الجنوب وقد هزمت في منطقة المعسال، وفي العام 1114 هجرية، هاجم السلطان قحطان بن معوضة بن عفيف سلطان يافع بني قاصد عدن وقتل عاملها، وفيها أرسل الأمام حملة عسكرية إلى منطقة المعسال وقد هزمت تلك الحملة وتم مطاردة جيوش الإمام ووصل بعض من أهالي الجنوب إلى قعطبة.وفي العام 1117 هجرية أمر الأمام وزيره صالح الحريبي بجمع المساجين من أهل حاشد وبكيل وإرسالهم إلى سلطان حضرموت لمؤازرته على أهل يافع.وفي العام 1118هجرية طرد أهل

يافع من تبقى من الزيود في حضرموت.وأصبحت لهم الكلمة النافذة هناك.وفي عام 1120 هجرية قام بعض من أهل الجنوب بمهاجمة إب ونهبها بقيادة السلطان عمر بن صالح هرهرة سلطان يافع بني مالك.

وقد أرسل الأمام حملة عسكرية لملاحقة أهل يافع لكن تم هزيمة تلك الحملة وقتل قادتها في منطقة العذارب في بعدان.وقد أرسل الأمام حملة عسكرية كبيرة للثأر من أهل المشرق في نفس العام لكنها هزمت في المعسال شرق رداع.وفي عام 1128 هجرية تولى الإمامة القاسم بن الحسين بدلا من عمه الأمام المهدي محمد أحمد بن الحسن بن القاسم، وفي العام 1129هجرية أرسل الأمام الجديد 400 عسكري لمساعدة السلطان عمر بن جعفر الكثيري في حضرموت، وتم فيما بعد قتلهم جميعا من قبل أهل حضرموت، وقد توفي الإمام المهدي صاحب المواهب في عام 1133هجرية.وفي عام 1135هجرية ذهب أهل يافع إلى قعطبة لأخذ مستحقاتهم من دولة الأئمة، وفي عام 1144 هجرية قام أهل يافع بمهاجمة قعطبة وانتهابها، وقد كان فيها من أهل يافع 300 عسكري مع الإمام ولكنهم تواطئوا مع أهل يافع.وفي العام نفسه وقعت حرب بين شيخ لحج فضل بن علي السلامي، وبين عسكر الأئمة، وفي العام التالي 1145 هجرية قام الشيخ فضل بن على السلامي، مع عساكر من يافع بالهجوم من ناحية البحر بشكل مباغت على عسكر الإمام في عدن، وتم الاستيلاء على المدينة، ثم قام الشيخ السلامي والشيخ سيف بن قحطان بن عفيف شيخ يافع بني قاصد بالهجوم على من تبقى من حامية الأئمة في لحج، ومن حينها استقل جنوب اليمن عن دولة الأئمة.

الملاحق

براءة الذمة في نصيحة الأئمة (1)

للعلامة الحسن بن احمد الجلال

تحقيق د.حسين عبدالله العَمري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مقيم الحجة على عباده، وموضح المحجة إلى رشاده، بما انزل من كتابه المبين، وما أهل لتبليغه من تراجمة ربانيين، استبدلوا بالتكبر التذلل لأحكامه، وبالتكثر من المال التقلل من حطامه، علما منهم بان الفقر إلى وجهه الكريم هو الغنى المطلق، وتحققا بأن التذلل لجلاله هو العز المحقق، فهم بمناجاته تراجمة مراده، وبتبليغه حججه القائمة على عباده.

والصلاة والسلام على سلفهم محمد الأمين، وعلى صنوه الانزع البَطين، ومن حذا حذوهما من ألهما وصحبهما أجمعين.

وبعد:

فأنه لما التبس في هذه الإعصار(الأوقات) الحق بالباطل وانغمر الحالي بأدلة العلوم بالعاطل، استشكل الفقير إلى الله، الحسن بن أحمد الجلال، وفقه الله إلى لصالح الأعمال، أمرين صدرا في الفتنة الثائرة بين الأمام المتوكل على الله إسماعيل بن أمير المؤمنين القاسم بن محمد، وبين أهل المشرق غفلة من فاعلها عن القواعد العلمية، ومساعدة الواقفين تحت كل راية عمية، فلم يسع الفقير السكوت، عن التنبيه على مافيهما، والكشف بالبيان عن ظاهرهما وخافيهما، حذرا من الدخول في زمرة((ان الذين يكتمون ما انزل الله من البينات والهدى)البقرة 2\159) ورجاء ان يستنقذ الله به من أراد ان ينقذه من الردى، هو ولي التوفيق والهداية إلى أوضح الطريق.

---

(1)حسين العمري، تاريخ اليمن الحديث والمعاصر،ص 206

الأمر الأول

ما وقع من أولياء الأمام من أكراه ضعفائهم وفقرائهم، على الإعانة بنفوسهم وخالص أمواله، ولا شبهة في أمرين هما مناط حجة الفاعل.

أحـدهما:أمر الله ورسـولـه بالجهـاد في سـبيل الله بـالنفس والمـال فيما لا يحصى من الآيـات والأحاديث حتى صار وجوبه ضروبا من الدين.ثم لا شبهة أيضا في أن فائدة نصب الأئمة أنما هو الأمر بـالمعروف والنهي عن المنكر الواجـبين بالضـرورة من الـدين، وأن من المعـروف ألـزام من عليه واجب قطعي التخلص منـه، لأنه من الأمر بـالمعروف قطعـا، فيكـون إلـزام من وجب عليه الجهاد بالنفس والمال قطعا جائزا للإمام أن لم يكن واجبا عليه.

وهاتان المقدمتان تنتظمان في الشكل الأول هكذا:

الجهـاد بـالنفس والمـال واجب، والـواجب يجـوز للإمـام الإلـزام بـه، ونتيجة الشـكل الأول ضــرورية، وهي عصـــارة أدلة العلمـــاء، ولم يعتصـــرها هكـــذا غيرنا ولله الحمــد.وفي كلتا المقدمتين بحث.

أما الكبرى:فلأنها كانت مهملة، فهي في قوة الجزئية، وهي لا تنتج المطلوب كما علم.

وأن كـانت كلية فعلى كلتيهما منع ظاهر، سنده ما اتفق عليه العلماء من أن الـواجب الظنية لا يجوز الإنكار في تركها على من لا يرى وجوبها اجتهاد، أو تقليدا، أو جهلا، لتصريحهم بـأن الجاهل للظنيات كالمجتهد يقر على ما فعله، ما لم يخرق الإجماع، ولتصريحهم ثانيا بأن شرط الأمر بـالمعروف والنهي عن المنكر أن يعلم الآمر النـاهي كـون ما أمر به معروفـا، وما نهي عنه منكـرا، قـال في البحر (يقصد البحر الزخـار احد كتب الزيديـة) ولا يكفي الظن، ولهـذا أن الأمـام يحي (يقصد يحي بن الحسين)لما ادعى أن للإمـام أن يلـزم مذهبـه، مسندا ذلك إلى أن ((لا يد فوق يـده) نظر صـاحب ((البحـر)) كلامـه، ووجه النظر مـاذكر من عدم الإنكـار والإلـزام بالمظنون لمن لم يكن لـه مذهبا إلا عند التحاكُم، لأن المُحـاكم كالمقلد الملـتزم، فيجب العمل بمـا ألزم به نفسه، ويجب إلزامه بذلك.

ومثلـه من اعتقد إمامة الأمـــام، ولأن الله تعـــالى لم يجعل لأولى الأمر طاعة عند التنـــازع، بل أوجب الـرد إلى الكتـاب والرسـول، وعند أحمد من حـديث انس:((لاطاعة لمن لم يطع الله))
(أخرجه أحمد بن حنبل في المسند بعدة طرق 1\129، 131، 400.)
وعند البخاري ((أطيعوا ما أقاموا فيكم كتاب الله))(فتح الباري 2\184_187، 8\58)

.ولا سبيل بعد رسول الله إلى فصل خصومة التنازع إلا بالتحكيم كما حكم أمير المؤمنين كرم الله وجهه وغيره من الأئمة وغيرهم، لأن الفرض أن التنازع وقع في مدلول الكتاب والسنة، وأن كل خصم متمسك بهما، والإمام وإن كان حاكما فالحاكم لا يحكم لنفسه ولا لما تولاه، كالوكيل لا يحكم لموكله ولا يحكم له أيضاً حاكم الزمه بالحكم بمذهبه لأنه وكيل له ، وإنما يحكم بالكتاب والسنة سماسرة بصنائعها من محققي المجتهدين.وأيضا المراد بأُولي الأمر :النبي صلى الله عليه وسلم، بدليل قوله ((وأن تأمر عليكم عبدُ)) فأنه يشير به إلى زيد وأسامة، لأنهم كانوا يطعنون في إمارتهما، وإلا وجب القول بأنها تصح إمامة العبدِ كما ذهب إليه الجويني والأصم وغيرهما، وذلك لأن من أمره النبي صلى الله عليه وسلم فطاعته معلومة بالنص المعلوم في زمانه، وكذلك من نصب نفسه أو نصبه نفر من المسلمين ، لعدم كون الناصب دليلا شرعيا، فضلا عن كونه قطعيا.

وأيضا (أولي الأمر)النساء 4\59) في تفسير ابن عباس وغيره:هم العلماء فلا تختص الطاعة بواحدة منهم، ولا يكون حجة على غيره ألا فيما هو مجمع عليه، ولأن قولهم ((لا يد فوق يد الإمام)) عموم مخصوص بيد الشرع، فأنها فوق كل يدٍ، ومنها أيدي المسلمين على ما هو لهم من دين أو دنيا، وإلا لزم القول بعدم تعلق خطابات الشرع بالإمام وجعله مشروعا ثانيا، وذلك باطل من ضرورة الدين إذ تقرر أن ليس للإمام الإلزام بالظنيات، فمن الظنيات وجوب طاعته على غير من اعتقد وجوبها، لأنهم ردوا الحكم بصحة الأمام وعدم صحتها إلى المأموم، (الشخص العادي الذي لا يؤم الناس يقصد به هنا المواطنين) حيث أوجبوا عليه النهوض بعد تواتر(الدعوة) ليبحث عن حال الداعي، ثم العمل بما ظنه من حاله من وجوب إتباعه أو رفضه، ولو كانت قطعية لما توفر له النظر.

ولا ينتهض الاستدلال عليه بمثل من يسمع داعيتنا فلم يجب لإلزامه وجوب إجابة كل داعية محقة كانت أو مبطلة، فكان يجب إجابة المتعارضين معاً، وانه تكليف بما ليعلم، فوجب القول بأتباع الظن في تعيين المجاب.

وعند ذلك يصح أن إمامة غير أمير المؤمنين كرم الله وجهه ظنية، إذ لا نصٍ قطعيا ولا ظنيا، ولا أجماع عاماً ولا خاصاً على إمامة رجلٍ معين بعده، عليه السلام وبعد الحسنين (يقصد الحسن والحسين أبناء الإمام علي رضي الله عنهما)ألا ما ادعته الإمامية في اثني عشر من النص(يقصد الشيعة الجعفرية)وما عسى أن يدعى من إجماع على إمامة من قبل

الهادي(يقصد الإمام الهادي يحي بن الحسين مؤسس المذهب الزيدي) سكوتيا أيضا، ولا يفيد إلا الظن كما عُلم.

وإذا تحقق كـون إمامة مَنْ بعد الهـادي عليه السـلام ظنيـة، كما حققه الإمـام عزُالـدين بن الحسن(هو الإمام الهادي عزالدين بن الحسن بن المؤيد توفى عام 900 هجرية وما ذكره المؤلف عنه موجود في مجموع فتاواه)والسيد صارم الدين إبراهيم بن محمد الوزير(صاحب الهداية، والفصول اللؤلؤية توفى عام 914 هجرية)عليهما السلام في جوابه على رسالة الإمام في الإمامة، لم يكن للإمام أن يلزم بطاعته إكراها لمن لم يعتقدها، ولا على المسلمين جهاد من خالفها في ظني بنفس ولا مال حتى يصول المخالف، إذ الجهاد اسم لقتال من خالف المُجمع عليه من الدين، كالكفار والبغاة الصائلين، ولهذا لم يلزم أمير المؤمنين كرم الله وجهه سعدا وابن عمر وعبدالله بن سلام وغيرهم ممن توقف عنه، ولا حارب إلا من حاربه وصال عليه، حتى قال للخوارج:لا نبدؤكم بحرب حتى تبدؤونا، مع تكفيرهم إياه، وصحت الأحاديث بمروقهم من الدين وكون إمامته قطعيةً، فما ظنك بقتال من لم يحقق مروقه من الدين ولا خالف إمامة قطعية ولذلك لم يُجوز العلماء للإمام الاستعانة بخالص المال إلا لاجتماع تلك الشروط التي كشف اعتبارها عن كون الجهاد لا يكون جهاداً في سبيل الله قطعاً إلا عند اجتماعها، لأنها حينئذٍ دفعٌ لمنكر قطعي، وذلك منهم بيان لمسمى الجهاد والبغي أيضا، وإلا لم يكن لإخراجهم لبعض الجهاد من جواز الاستعانة عليه وجهٌ، وأما الاستعانة في هذه الفتنة فليس لها بشيء من الشروط المعتبرة مساسٌ، فالله المستعان.

ولا يحتج بفعل أحاد الأئمة المتأخرين ولا قولهم، ولا من قلدهم، إذ ليس بحجةٍ، وإلا لكفانا الاحتجاج بفعل الحاضر منهم، ولوجب القولُ بالتفويض الذي ذهب إليه القاضي مؤنس، وقد عُلم بطلانه.

وأما الصغرى: فقد تقرر من الكلام على منع كلية الكبرى أن المراد سبيل الله، وبالجهاد هو المجمع على كونه سبيلا وجهادا لا المختلف فيه منهما، للإجماع في المختلف فيه على وجوب عمل المجتهد ومقلده، بظنه، فكيف يصحُ الاستعانة بخالص مال المسلمين على إنكار غير واجبٍ شرعي مستند وجوبه إلى الإجماع من المصوب والمخطي لعدم تعيُّن المخطئ قطعاً، وعدم جواز التكليف بما لا يعلم، لا يقال إذن قررت أن ليس للإمام الإلزام بطاعته، ولا على أحدٍ جهادٌ، فقد أذهبت ثمرة الإمامة، لأنا نقول:هذا وهمٌ، فإنا بينا أن ثمرة الإمامة تنفيذ المُجمعِ عليه، وقررنا وُجوب إعانته عليه قطعاً، لتعلق خطاب الشرع في القطعيات لكل مسلم

قطعاً، والمثبط عن فعل الـواجب القطعي مخـالف للقطـع، فللإمـام أن يلزمه بـه، بل لسـائر المسـلمين، فقد ذهب القاضـيان شـمس الـدين جعفر بن احمد بن عبد السـلام، (هو القاضي الزيـدي جعفر بن احمد بن عبدالسـلام البهلـولي تـوفي في صـنعاء 576) وأبو الفضل بن شروين من شيعة المذهب وغيرهما، إلى أن ذلك من صلح له من آحاد المسلمين فضلا عن الإمام.

والمخصص ذلك بالإمام ليس له دليلٌ إلا توهُّم أنه إذا لم يفعل ذلك إلا الرسول صلى الله عليه وسلم، في وقته لم يجز لغيره، وهذا وهمٌ فاحشٌ، لأن هذا فرض الكفاية، إذا قام به البعض سقط عن البعض فعله، وسقوط الفعل لا يستلزم عدم تعلق التكليف بكل مُكَلفٍ.

ولا ينكر أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الأولى بذلك، لكونه داعيا إلى الهدى، وأولى من قام به وواظب عليه.

وأما حديث:((أربعة إلى الـولاة)) على اختلاف الروايـتين، فهو مع ضـعف سنده وكونه في أربعة من الواجبات لا في جميعها، مشكل الدلالة أيضا، لأن المُكَلف بالأربعة إن كان هو الإمام دون غيره، لـزم ألا تجب زكاة إلا بوجوده، كما صرحوا بذلك في الحدِ والجمعة، وإلا وجب القولُ بهجر ظاهره وباطن الاستدلال به.

وفيما أورده القاضي محمد بن يحي بهران(فقيه وعالم زيدي توفى عام 957 هجرية) رحمه الله على الأمام المحقق الحسن بن عز الدين عليه السلام ما لفظه:
))وبعد ، فاستدلالهم بإجماع الصحابة على أن الحدَ إلى الإمام ، والتكليف به، معترضٌ، بأنه إما أن يكون وُجوب الحد مشروطا، بوجود الإمام أو لا، إن كان الأول لم يجب نصب الإمام، إذ لا يجب تحصيل شرط الـواجب ليجب،كما الزكاة ، وإن كان الثاني،فظاهره أنه لا يلزم من وجوب الحد وجوب نصب الإمام)) انتهى.

وأجاب الإمام عليه السلام بجواب حاصله:
)) دعوى أن الإمام شرط أداء لا شرط وُجوب))
ثم نقل عن والده الإمام عزالدين تضعيف الجواب.

قلت: يشهد للتضعيف تصريحهم بسقوط الحد عن عدم الإمام، وبعدم جواز إقامة الإمام الثاني لما وقع سببه زمن الإمام الأول، ولا كذلك شرط الأداء لتضق وُجوب فعل الواجب عند حصول أدائه وإن تراخى الشرط.

وأضيق مما أورده القاضي أن يقال:إن كان المُكَلف بنحو غير الإمام والإمام شرط أداء وجب أن يكون للمُكَلف إقامتها مع وجود الإمام لتضييق فعل الواجب عليه لحصول شرط أدائه، وإن كان المُكلف هو الإمام لاغير، كان حاصله أن وجود الإمام شرط لتكليفه بالحدود، وكان كالسماء فوقنا والأرض تحتنا لا ينبغي حمل كلام العلماء عليه، ولأنه يعودُ على كونه شرط وجوب، فيعود ترديد القاضي، ويبطلُ الجواب بأنه شرطُ أداء.

وأما دعوى إجماع الصحابة على أنها إلى الإمام فممنوع، إذ لا يُجمعون عل مُختل الدلالة، وإلا لكان إجماعهم على الظلالة، ثم غاية الأمر أن فِعل الإمام له مع سكوتهم على ذلك لا يستلزم القول بعدم تعلُق التكليف بغيره، إذ لا يدل على سقوط فرض الكفاية عمن لم يفعله بعد فعل غيره له على عدم وجوبه عليه، كما تقدم في النبي صلى الله عليه وسلم، ولأن عدم القول ليس قولا بالعدم، وإن سُلم الإجماعُ على الاختصاص وعدم المبالاة بهذه الإشكالات.

فغايته سكوتي ظني لا يعارض تلك الواجبات القطعية المطلقة، ومن قيدها بالحديث اجتهادا مع ظهور هذا الاجتهاد، لم يكن له الإنكار على من منع هذا التقييد القطعي بالظني المضطرب الدلالة أيضا، كيف والمانع له جمهور المحققين من أئمة الأصول لأنه زيادةٌ قد غيرت التخيير بين آحاد المطلق إلى التعيين، والتخيير حكمٌ شرعي وقد رفعته، وأيضا نقصت من مدلول المطلق، والنقص نسخ للمنقوص وفاقا للمحققين، والقطعي لا ينسخ بالظني وفاقا، وعلى هذا ينبني مذهبُ القاضيين وعقد الأمير برهان العترة، الحسين بن محمد عليه السلام (هوالإمام الناصر بن الحسين بن بدر الدين محمد بن احمد توفي عام 662) لتصحيح ما ذهب إليه القاضيان فصلا في باب صلاة الجمعة في السير من (الشفا) واعترض دعوى إجماع العترة وشفى ووفى، وإن ذلك يعود على قطعية وجوب الإمامة بالنقض، إذ لم يجب على ظاهر استدلالهم إلا القيام بالأربعة، وعند تصحيح قيام غيرهم بها يفتقر الموجب لها، إلى دليل شرعي، ولا يجد غير دعوى إجماع الصحابة، وقد تكلم فيه الإمام عزالدين بن الحسن، وإن كان السيد صارم الدين قد حاص من كلامه وباص، ولم ينبه في حيصه وبيصه إلى شيء من خلاصة، كما حققنا في التعليق على كلامهما عليهما السلام.

وأما أنه لا تتم تلك الوجبات إلا بإمام، فيكون وجوبه من وجوب ما لايتم الواجب إلا به، كما هو شأن شرط الأداء ، فمع أن فيه ما تقدم ممنوع، وإن سلم عدم التمكن في بعض الأحوال إلا بإمام، لزم قول البعض:إن الإمامة لا تجب إلا عند طغيان أهل الظلم من السلاطين، وإن ذلك نفس عدم الوجوب، المطلق للإمامة، ثم وجود الإمام لا يصلح مانعا للمعترض عن التخلص عما وجب عليه في المقتضى.

غاية ما في الباب: أن يكون هو الأولى بذلك، ويحمل على الأولوية كما أشار إليه الأمير الحسين، لاسيما وليس في الحديث صيغة حصر.

وأيضا لو خصصنا بهذا التكليف واحدا لانقلب فرض عين، والاتفاق على أنه فرض عين كفاية، ولا يسقط عن أحد من المُكلفين إلا بعد قيام غيره به، ومن هنا ذهب البعض إلى تعدد الأئمة، والقول بأن من ولاه الإمام في الأقطار النائية يقوم (مقام الإمام فرعي، كون الثاني غير مُكلف بالكفاية) وكونها قد انتقلت عينا على واحد، وهو محل النزاع، ومدعيه مدع لقريب من خلاف الإجماع.

وأما من جعل وجوب الإمام بالعقل، فينبغي أن يكون وجوب الإمامة مبنيا على القول الأصلح عقلا، وهو مذهب أبي القاسم، وعليه ما عليه في الكلام ولأن وجوب الأصلح لا يمنع من فعل الصالح.

الأمر الثاني:

<u>ما وقع في أهل المشرق من قصدهم إلى ديارهم، واستباحة نفوسهم وأموالهم، مع مخالفة السيرة العلوية في مثلهم، ولا شك أنهم مسلمون لظهور أركان الإسلام فيهم من غير جوار، وقصدهم إلى ديارهم يتفرع على تحقق أمرين:</u>

أحدهما البغي قطعا.

وثانيهما: تحقق جواز قصد الباغي إلى داره قطعاً.

أما الثاني قول أمير المؤمنين، كرم الله وجهه للخوارج(يقصد الإمام علي بن أبي طالب) ((لا نبدأكم بحرب حتى تبدؤونا)) صريح في منع قصد الباغي المقطوع ببغيه، ولم تؤخذ أحكام البغاة إلا من قوله وفعله عليه السلام، وهو حجةُ الإمام الشافعي في عدم تجويز قصدهم،

وأهل المشرق شافعية، ولا يبعد أن يكون دفاعهم عن مذهبهم جهادا بعد الإجماع على تقرر المذاهب ووجوب إتباع كل مذهبه، وحجتهم يوم القيامة ذلك الإجماع.

وقول أمير المؤمنين، كرم الله وجهه، وقد شرط في الإمام الورع الذي حقيقته ترك ما لا بأس به حذرا مما به بأس، ولا شك أن خوف مخالفة الإجماع، ومخالفة أمير المؤمنين عليه السلام من موارد الورع، ولا يعارضه فعل متأخري أولاده المخالفين للقدماء منهم، كالهادي، والمؤيد، والقاسم، وزيد، وابنه، والحسين بن علي الفخي، والناصر الأطروش، ومثلهم.

وقد اشتملت رسالة القاضي محمد يحي بهران رحمه الله على حسن سَيْر بعضهم وشدة ورعهم وحذوهم حذو أبويهم:المصطفى والمرتضى، صلوات الله عليهما، حذو القذة بالقذة، والنعل بالنعل، حتى قال الهادي، عليه السلام ((والله ما هي إلا سيرة محمد أو النار)) وقد شدد النبي صلى الله عليه وسلم في حرمة من قال ((لا اله إلا الله)) إلا أن بحكم مُجمع عليه.
وقد حرص السيد صارم الدين إبراهيم بن محمد في جوابه على رسالة الإمام عز الدين بن الحسن: أن إمامة المتأخرين ليست من السيرة النبوية، ثم قال ما لفظه:
)) ومن أنكر ذلك فهو جاهل معاند، وتفسيق من خالف قياسا على من خالف أولئك مزلة قدم))
قلت: وينبغي أن نستثني من المتأخرين إمامنا الحجة الظاهرة أمير المؤمنين المنصور بالله القاسم بن محمد عليه السلام، (967-1029 هو مؤسس حكم بيت القاسم ووالد الإمام المتوكل إسماعيل الذي وجه إليه الجلال هذه الرسالة)فإنه حذا حذوا القدماء من سلفه صلوات الله عليهم أجمعين، فإن الله كمل إمامتهم بعد معارضة ذوي أهلية، وبقتال أمم طاغية، صالت على كل مؤمن حتى أسكنته القفار الخلية، فهنيئا لهم تلك السعادة المتعينة، والسير التي هلك فيها من هلك عن بينة وحيي من حيي عن بينة.

وأما الأول:فلأن البغي لغة: التعدي على الغير قطعا، وقد تقدم أن مخالف الظني من إمامة أو غيرها غير متعد قطعا.
لا يقال: كيف نقول ذلك وقد منعوا الإمام من الزكوات ما هو له، وإقامة الحدود والجمعات، لأنا نقول: قد قدمنا ما يكفي على عدم اختصاصه، فهم على مذهب الشافعي أن ولاية الزكاة إلى أربابها، وأن الجمعة لا يشترط فيها الإمام.

وأما الحدود: فليست لـه، إلا إذا رفعت إليه اتفاقا، ولم يرفع أحد من أهل المشرق إليه شيئا منها، إلا ما أراده بعض أهل الشحر من نصرة الإمام له على أن يتولى شيئا منه، وليس ذلك في شيء من مقاصد الشرع، بل ربما كان تولية مثله مفسدة.

منها:إثارة هذه الفتنة العظيمة التي طحنت رحاها أنفس المسلمين وأموالهم، على أن ذلك ليس إلى الإمام إلا في ولايته، لأن طلب الولاية عليهم من تحصيل شرط الواجب ليجب.

وإن قلنا بمذهب المؤيد بالله في أن الولاية إلى الإمام مطلقا، فغايته ثبوت ذلك ظنا، والمخالف فيها جماهير أهل البيت وأمة محمد صلى الله عليه وسلم، وقد تقدم أن ليس للإمام الإلزام بمختلف فيه، ولا إنكاره على من هو مذهبه، لأنه إنكار لواجبٍ مُجمع على وجوب عمل يعتقده به.

والقول بأن طلب الإمام بقطع الخلاف، قول من لا يستيقظ أن استحقاق الطلب فرع استحقاق المطلوب، وقد تقدم تنظير صاحب (البحر) على الإمام يحي في ذلك.

غاية ما يستحقه الإمام في الظنيات ما يستحقه على الزوجة من منافع يضعها إذا اختلف مذهبهما فيها، فإنه ليس للزوج إكراهها على خلاف مذهبها، بل لها ان تقاتله عليه، إلا بحكم حاكم، فكذا الإمام وإن كان حاكما، لأن الحاكم لا يحكم لنفسه، وإلا لما تولاه كالوكيل لا يحكم لموكله، بل يجب عليه المدافعة، وكفى بتحكيم أمير المؤمنين كرم الله وجهه، والله يحب الإنصاف، وهو عند لسان كل قاتل.

ولا يحتج بقتال أبوبكر لمانعي الزكاة لأنهم أنكروا وجوبها، فكان كفراً، ولهذا سمو أهل الردة، وصرح القاضي محمد بن يحي بهران أنهم أعني بني حنيفة كفار أصلا، فلا يكون فعل أبوبكر من محل النزاع، فأما قتال أهل المشرق، فمما لا وجه له، أما على تقدير عدم البغي فظاهر، وأما على تقديره فلأنهم لم يجلبوا بسلاح ولا غيره، لأنهم قصدوا إلى ديارهم، وقد رد أمير المؤمنين مال الخوارج.

ولما أوقع الإمام الهادي عليه السلام بأهل يافث بعد محاربتهم إياه، فهربوا من ديارهم، بلغه أن بعض العسكر أخذوا من ديارهم شيئا من الأثاث، فغضب من ذلك أشد الغضب، واحتجب عن العسكر، وهم باعتزال الأمر وقال((لا يحل أن أقاتل بمثل هؤلاء)) فتابوا مما فعلوا، وردوا جميع ما كانوا أخذوه.

وحارب المؤيد بالله سلطانا بالديلم، فانهزم أصحاب السلطان، وحمل إلى المؤيد بالله 30 ألف من مضرب السلطان، فردها عليه، روي ذلك كله في (بهجة الجمال) (وهذا الكتاب اسمه بهجة الجمال وحجة الكمال في المذموم والممدوح من الخصال في الأئمة والعمال للعلامة بهران المذكور سابقا)

وهكذا فليكن الورع الشحيح، والاقتداء الصحيح، ومن لم ينفعه الحق لم ينفعه الباطل.

لا يقال: أهل المشرق كفاراً، تأويلا لقولهم بالجبر، وحكم المتأول حكم المصرح في قصده وأخذ نفسه وكل ماله.

لأنا نقول:

أما أولا: فإلزامهم الجبر مع عدم صحة نقله عنهم مما لا يجوز أن ينبني عليه حكم ظني، فضلا عن قتال واستباحة نفوس وأموال، لأن الجبر لايعرفه إلا مُدَقِّقَهُ علمائهم مدعين أنه إنما ذادهم عن الاعتزال قائم بالبرهان، وأما من لم يصرح يعرف البراهين كالعوام العوام، فالاعتزال عنده ضروري، كما صرح به البيضاوي وغيره من علمائهم. (هو القاضي ناصر الدين عبدالله بن محمد بن علي الشيرازي البيضاوي نسبة إلى البيضاء في شيراز له كتاب أنوار التنزيل وأسرار التأويل توفى عام 685هجرية 1286 م)

وأما ثانيا: فالظاهر أنه شافعيّ الفروع أشعريُ الأصول، ولا قائل بتكفير الأشاعرة لقولهم بالكسب، (عرف الباقلاني الكسب ((أفعال العباد هي كسب لهم وهي خلق الله تعالى)) ولا مكفر لأهل الكسب فيما يعلم إلا مجازف لا يعرف العلم ولا أهله، لأن الكسب هو الفعل الذي يقول له العدلية، وإنما الخلاف في العبارة بعد التحقيق.

وأما ثالثا: فلأن قياس التأويل على التصريح فاسد، لأن أركان الإسلام فارق جلي، ولا قياس مع ظهور الفارق.

وأما رابعا: فلأن القياس في مقابلة النص باطل بالاتفاق، والنصوص في هذه المسألة بعينها على الخصوص صحيحة صريحة من السنة، في أحاديث جمة، منها حديث أنس قال: قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم، ((ثلاث من الأيمان، الكف عمن قال: لا إله إلا الله، لا يكفره بذنب ولا يخرجه من الإسلام)) الحديث رواه أبو داود في كتاب الجهاد من السنن بإسناد رجاله موثقون كلهم، ورواه أبو يعلي من طريق أخرى أيضا.(هو من حديث أبو داود 3352 بهذا اللفظ)

ومنها:حديث أبو هريرة مرفوعا نحو حديث أنس وبمعناه، رواه أبو داود أيضا.
ومنها: حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم، ((كفوا عن أهل لا إله إلا الله لا تكفروهم بذنب، من كفر أهل لا إله إلا الله فهو إلى الكفر اقرب)) رواه الطبراني في الكبير.

وفي ذلك أحاديث عند أئمة الحديث من أهل المسانيد والمجاميع عن أمير المؤمنين كرم الله وجهه، وأبي الدرداء، وأبي إمامة، وواثلة، وجابر بن عبدالله، وأبي سعيد الخدري، وعائشة رضي الله عنهم، سبعتهم، عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثل ذلك.وإن كان في أسانيد بعضها من تُكُلم فيه، فمجموعها إن لم تبلغ التواتر المعنوي الذي لا تشترط فيه العدالة، فلا بد أن يكفي في الاحتجاج به ومنع القياس في مقابلته، ولا سيما وأصل الإيمان يعضده، والناقل يفتقر إلى دليل قطعي ولا يجده، وقد حكم النبي صلى الله عليه وسلم بإيمان الجارية التي جيء بها إليه لعتق في الكفارة حين قالت:إن ربها في السماء، مع كون إثبات الجهة يستلزم الجسمية، فلم يكفرها باللازم الذي اعتمده أئمة الكلام، بل جعلها مجزية في الرقبة المؤمنة.

وأيضا قد طول الإمام يحي، وأبو الحسين، والرازي، وغيرهم من علماء الإسلام الاحتجاج على عدم كفر التأويل.

ورواه السيد أبو عبدالله الحسني في كتابه الجامع الكافي (هو العلامة محمد بن علي بن الحسين العلوي الحسني المتوفي عام 445 هجرية 1053 م) عن محمد بن منصور الكوفي عن سلف أهل البيت عليهم السلام قاطبة وعن غيرهم، وصنف في كتاب الجملة والألفة وهو قول الأمام المؤيد بالله في الجبرية، نص عليه في آخر كتاب الزيادات، فقول بعض المتأخرين بالتكفير خرق لهذا الإجماع المروي عن السلف الذين هم هم.

وبعد هـذا يعلم من له إنصـاف أن غاية القـول بـالتكفير اسـتنادا إلى قيـاس فاسد لمقابلته النصوص، وظهور الفارق فيه، مع كون تحريم الدماء والأموال والأعراض قطعيا لا يعارض بالظن الصحيح فضلا عن الفاسد.

نعم إنما جعل الله الإمامة فتنة، كنهر طالوت، وحيتان السبت، وحسر الصيد على المحرم، قال الله تعالى:(ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب ___ المائدة 5/94) فما أحوج الأئمة إلى توقي شر الفتن، والحذر من مزالقها بإصلاح أنفسهم أولا، وإلزامهم أدب الشرع من الورع والعفة والزهد في الدنيا، والانتصاف لله لا للنفس، وترك أثرتهم لأنفسهم وأقاربهم بمال الله، ليكون ما تخلقوا به من محاسن الأخلاق حجة لهم على الخَلق، وداعيا إلى طاعتهم، وإلا انقلبت الحجة لله ولعباده عليهم، فإنما يؤدب الناس من أدب نفسه، ولا تنفع موعظة من ليس بمتعظ في نفسه.

هـذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين والحمد لله رب العالمين.

انتهت الرسالة.

الفهارس

فهرس الأعلام

أ

فهرس الدول والقبائل والشعوب والطوائف والأديان

فهرس الأماكن والبلدان

المراجع

1.الخـزرجي، علي بن حسن الخـزرجي، العقـود اللؤلؤية في أخبـار الدولة الرسـولية الجـزء الأول والثـاني، تحقيق محمد بن علي الأكـوع الحـوالي، ومحمد بسيوني عسـل، إصـدار مركز الدراسات والبحوث اليمني صنعاء، دار الآداب، بيروت لبنان، الطبعة الثانية 1983م

2.إبن الديبع ، عبدالرحمن بن علي الديبع ،قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، الطبعة الثانية 1988م غير مذكور مكان الطبع.

3.الفيصـلي، محمد احمد مقبل الفيصـلي، تـاريخ الدولة الطاهرية 858-945هجريـة.طبعة 2005 ،صنعاء اليمن، غير مذكور مكان الطبع.

4. الموسوعة اليمنية ، إصدار مؤسسة العفيف الثقافية صنعاء اليمن، الطبعة الثانية 2003م ، مجموعة باحثين.

5. العمري، حسين عبدالله العمري، تاريخ اليمن الحديث والمعاصر من المتوكل إسماعيل إلى المتوكل يحي حميد الدين1516-1918م ، دار الفكر دمشق
سورية، الطبعة الثانية 2001م.

6. أبو طـالب ، محسن بن الحسن بن احمد بن القاسم الملقب ((ابوطـالب)) طيب أهل الكسـاء، تاريخ اليمن عصر الاستقلال عن الحكم العثماني الأول 1056-1160هجريـة، تحقيق عبدالله بن محمد الحِبشي، مطابع المفضل للأوفست صنعاء، الطبعة الأولى 1990م.

7. الجرمـوزي ، المطهر بن محمد بن احمد بن عبدالله الجرمـوزي، تحفة الإسـماع والأبصـار بما في السـيرة المتوكلية من غـرائب الأخبــار، تحقيق عبــدالحكيم بن عبدالمجيد الهجــري، إصـدار مؤسسة الأمـام زيد الثقافية ،جـزأين، مركز النهـاري للطباعة صـنعاء الطبعة الأولى 2002 م

8. العبـدلي، احمد فضل بن علي محسن العبـدلي، هدية الـزمن في أخبـار لحج وعـدن، مكتبة الجيل الجديد صنعاء، الطبعة الأولى 2004م

9. الـوزير، عبدالإله بن علي الـوزير،تـاريخ طبق الحلـوى وصحائف المن والسلوى، تـاريخ اليمن خلال القـرن الحـادي عشر الهجـري السـابع عشر الميلادي 1045-1090 هجريــة،

تحقيق محمد عبدالرحيم جازم، إصدار مركز الدراسات والبحوث اليمني صنعاء، الطبعة الأولى 1985م

10. أطلس اليمن والعالم،مصلحة المساحة والسجل العقاري صنعاء اليمن، جيوبروجكتس طبعة 2003م بيروت لبنان.

11. سيد مصطفى سالم، الفتح العثماني الأول لليمن 1538-1635م،دار الأمين للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة،الطبعة الخامسة 1999م.

12.ديان، محسن بن محسن ديان، وقائع من تاريخ يافع،مكتبة الكاتب العربي، دمشق سورية، الطبعة الأولى 2000م.

13. صبحي، الدكتور احمد محمود صبحي، الزيدية، الزهراء للإعلام العربي القاهرة، الطبعة الثانية 1984م.

14. عيسى بن لطف الله المطهر شرف الدين، روح الروح فيما حدث بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح، تحقيق إبراهيم بن احمد المقحفي،مركز عبادي للدراسات والنشر صنعاء، الطبعة الأولى 2003م.

15. كارستن نيبور، الدكتور احمد قائد الصائدي،المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن ،دار الفكر دمشق سورية، الطبعة الأولى 1990م.

16.محمد بن هاشم ، تاريخ الدولة الكثيرية في حضرموت، تريم للدراسات والنشر.

17. حسن صالح شهاب، تاريخ يافع في.مركز الشرعبي للطباعة صنعاء،الطبعة الأولى 2001.

18.الدكتور احمد محمود صبحي، الزيدية، الزهراء للإعلام العربي، الطبعة الثانية القاهرة 1984

19.حسين محمد الهدار، هداية الأخيار في سيرة الداعي إلى الله محمد الهدار، درا الأفاق للطباعة والنشر صنعاء، طبعة 2000م.

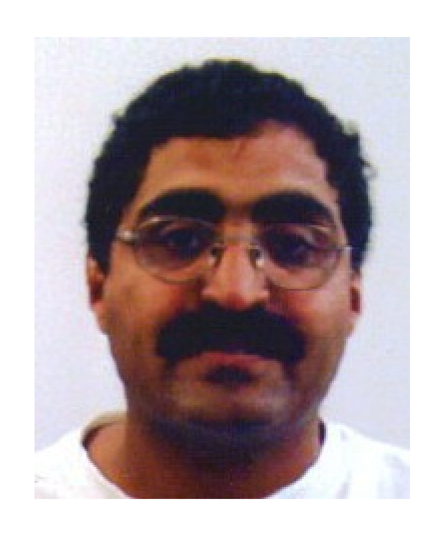
المحتويات

الفصل الرابع

شكر وتقدير

اشكر الأخ المؤرخ محسن بن محسن ديان، والأخ اللواء حسين محمد قحطان ديان مدير مديرية لبعوس (الآن وكيل محافظة البيضاء) على ما قدماه لي من عون ومساعدة أثناء زيارتي إلى يافع في صيف عام 2006، لجمع بعض المعلومات عن تاريخ يافع ولمعرفة الأماكن التي وقعت فيها بعض المعارك، حيث قدما لي ما طلبت من معلومات عن تاريخ يافع، وقدموني إلى الناس الذين التقيت بهم ووفروا لي المواصلات ولولاهما لتصعبت مهمتي وقد سهلا لي الالتقاء بالناس وطرح الأسئلة عليهم، وقد زوداني مشكورين ببعض الكتب التاريخية والأدبية. كما اشكر الأخ الشيخ حسين الهدار مفتي البيضاء وسليل الحبيب حسين بن سالم صاحب عينات، على أعطاني بعض المعلومات عن تاريخ البيضاء وكتاب فيه سيرة آل الهدار في البيضاء وبعضا من تاريخها.

كان الانتهاء من هذا الكتاب في يوم الجمعة 5 يناير 2008 م



المؤلف في سطور

مولود في جُبن محافظة الضالع اليمن عام 1962

متزوج وله 5 أولاد وبنت

يقيم حاليا بالولايات المتحدة

له العديد من المقالات والدراسات التاريخية والفكرية

الطبعة الإلكترونية الأولى يناير 2008 م

الطبعة الإلكترونية الثانية سبتمبر 2018 م